فصل فى تلاميذه

قرأ على أبى العلاء والمعرة كثيرون، واشتهر جماعة منهم بالاختصاص به، والانتساب إليه فى العلم؛ كأبى المكارم عبد الوارث بن محمد الأبهرى، وأبى تمام غالب بن عيسى الأنصارى، والخليل بن عبد الجبار القزوينى، ومحمد بن أحمد بن أبى الصفر الأنبارى وغيرهم. وممن روى عنه: القاضى أبو القاسم على بن القاضى المحسن بن القاضى التنوخى، وكان من أقرانه، أخذ عنه وهو ببغداد، وصحبه اتصلت صحبته بالتبريزى بسبب أبى العلاء.

ولد القاضى المذكور سنة ٣٦٥ بالبصرة، كما فى "وفيات الأعيان" لابن خلكان، أو فى سنة ٣٥٥ كما فى "فوات الوفيات "لابن شاكر، الأول أصح. وتوفى سنة ٤٤٧، قبل وفاة أبى العلاء بنحو سنتين. وكان صدوقًا فى حديثه، وقبلت شهادته عند الحكام فى حداثته، ولم يزل على ذلك مقبولا إلى آخر عمره، وتولى قضاء عدة نواح، منها المدائن وأعمالها، وأذربيجان والبر دان وغير ذلك. وكانت فيه دعابة، يروى أن إسكافًا اجتاز بداره - وهو نائم - فصاح شراك النعال وأزعجه بصياحه، فقال لغلامه:

اجمع كل نعل فى الدار وأعطها لهذا يصلحها ويشتغل بها، ثم نام واشتغل الإسكاف بإصلاحها إلى آخر النهار، فلما كان اليوم الثانى فعل كذلك، ولم يدعه ينام، فقال للغلام: أدخل، فلما دخل قال له: أمس أصلحت كل نعل عندنا، واليوم تصحى على بابنا، هل بلغك أننا نتصافع بالنعال ونقطعها، بإعلام، قفاه.

وسمع امراة تقول لأخرى: كم عمر ابنتك؟ فقالت: رزقتها يوم صفع

القاضي وضرب بالسياط، وقال لها: أصار صفعي تاريخًا لك ما وجدت تاريخًا غيره؟

وممن قرأ على أبي العلاء، وهو ببغداد: الأديب المشهور بابن فورجة البر وجردي، ذكر ذلك السيوطي. وهو صاحب "الفتح على أبي الفتح"، و"التجني على ابن جني"، يرد فيهما على ابن جني في شرح المتنبي. واختلفوا في اسمه فقيل محمد بن حمد، وسماه مجد الدين الشيرازي في كتابه "البغلة في أئمة اللغة" حمد بن محمد، ومن شعره:

أيها القاتلي بعينيه رفقًا ... إنما يستحق ذا من قلاكا

أكثر اللائمون فيك عتابي ... أنا واللائمون فيك فداكا

إن لي غيرة عليك من اسمي ... إنه دائمًا يقبل فاكا

قال السيوطي: هذا الشعر يؤيد أن اسمه حمد. واختلفوا أيضًا في اسم جده فورجة؛ فقال السيوطي: بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المهملة وفتح الجيم. وقال ابن شاكر في "فوات الوفيات": فوزجه بالفاء المضمومة، وبعد الواو والزاي جيم مشددة. وفي النسخ خلط في ميلاده ووفاته.

وأشهر تلاميذه أبي العلاء: أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي، صاحب المصنفات النفسية، كشرح الحماسة والمعلقات وتهذيب ألفاظ ابن السكيت وغيرها، ولد سنة ٤٢١. وتوفي فجأة ببغداد سنة ٥٠٢. ودخل مصر في عنفوان شبابه، ثم استوطن بغداد، ودرس الأدب بالنظامية، وكان إماما في اللغة ثقة فيا، إلا أنه كان مستهترًا بالشراب. وكان سبب رحلته إلى أبي العلاء أنه تحصل على نسخة من كتاب "التهذيب" للأزهري في اللغة

عدة مجلدات، وأراد تحقيق ما فيها، وأخذها عن رجل عالم باللغة، فدلوه على أبى العلاء، فجعل الكتب فى مخلاة، وحملها على كتف من تبريز إلى المعرة، ولم يكن له ما يستأجر به مركوبا، فنفذ العرق من ظهره إليها، فأثر فيها.

وكانت ببعض الوقوف ببغداد، إذا رآها من يعرف صورة الحال ظن أنها غريقة التبريزى.

وقال العلامة عبد الهادى نجا الأبيارى من شيوخ هذا العصر المتوفى سنة ١٣٠٥، فى كتابه "القصر المبنى على حواشى المغنى" عند كلامه على أبى العلا المعرى: "ومما يدل على فضله، أن الخطيب أبا زكريا يحيى التبريزى قرأ الأدب عليه ورحل إليه من تبريز، وسيدى عبد القادر الجيلانى، قرأ الأدب على التبريزى هذا فالشيخ شيخ شيخ الجيلانى. والله أعلم".

قلت: والذى قاله الشيخ من قراءة الجيلانى الأدب على التبريزى صحيح، ذكره ابن شاكر فى ترجمة الجيلانى من "فوات الوفيات".

* * *

فصل فى مبلغ عمله وذكائه

اتفق محبوه ومبغضوه على أنه كان واف البضاعة من العلم، غزير المادة فى الأدب، إمامًا فيه، حدقًا بالنحو والصرف، يسبح وحده فى الذكاء والفهم وقوة الحافظة أما للغة وحفظ شواهدها وتقييد أو أبدها فقد كان فيها أعجوبة من العجائب، وحسبك أنهم إذا عدوا من رزقوا السعادة فى أشياء، لم يأت بعدهم من نالها؛ عدوا ممن تفرد بسعة الإطلاع على اللغة. وكلامه الذى أورده فى "رسالة الغفران" فى بيتى النمر بن تولب، وتغييره القوافى وتنزيلها على سائر حروف المعجم خلا حرف الطاء، يدل على إطلاع كبير، وتمكن من اللغة والأدب قل أن يتفق نظيره لشخص.

وخلاصة ما ذكر كرمان - خلفًا الأحمر - تذاكر يوما مع أصحابه فى القول النمر:

ألم بصحبتى وهم هجوع ... خيال طارق من أم حصن

لها من تشتهى مصفى ... إذا شاءت وحوارى بسمن

فقال لهم: لو كان موضع أم حصن: أم حفص؛ وما كان يقول فى البيت الثانى؟ فسكتوا. فقال: حوارى بلمص، يعنى: الفالوذج والحوارى: الدقيق الأبيض وهو اللباب. فغير أبو العلاء قوافى البيتين على حروف المعجم، وربما أنى فى الحرف بالقافيتين والثلاث، ولا يتفق هذا إلا لمن رزق حظا وافرًا من الإصطلاح، والمسألة مبسوطة فى الرسالة، فالرجع إليها إن شئت لتعلم صحة ما قلناه.

وذكر غير واحد من اللغو أن أبا لعـلاء لما دخل بغداد اعترضوا عليه فى حلقة ابن المحسن - لقوله:

ويوشع رد يوحى بعض يوم وأنت منى سفرت رددت يوحًا

ويوح ويوحى بضمهـا من أسماء الشمس، فقـالوا له: صفحت إنما هو برح - بالماء الموجوده، واحتجوا عليه بكتاب الألفاظ لابن السكيت فقال لهم: هذه النسخ التى بأيديكم غيرها شيوخكم، ولكن أخرجوا ما فى دار العلم من النسخ العتيقة، فأخرجوها فوجدوها مقيدة كما قال.

واحتج به ياقوت "معجم البدان" فى تصحيح لفظة الضراح ردًا على من قال إنها بالصاد المهملة، فقـال: ألا ترى إلى أبى العلاء أحمد بن سليمان المعرى كيف جمع بين الضراح والضريح إرادة والطباق فقال:

لقد بلغ الصراح وساكينه نثاك وزار من سكن الضريحا

والنثا مقـصورًا وبتقديم النون على الثاء: الخبـر. ومن غريب ما يروونه عنه فى ذلك أنـه دخل على الشـريف أبـى القـاسم المرتضى أخـى الشـريف الرضى، وهو بغغداد، فعثر برجل فقال: من هذا الكلب؟

فقـال أبو العلاء: الكلب من لا يعرف للكـلب سبعين إسـمًا وسمـعه المرتضى فأدناه واختبره فوجده عالمًا مشـبعًا بالفطنة والذكاء، فأقبل عليه إقبالا كثيرًا. قلت: ومن هذا هرب جلال الدين عبد الرحـمن السيوطى فجمع أكثر من ستـين اسمًا لـلكلب، ونظمها فى أرجـوزه سماهـا: "التبرى من مـعرة المعرى" رأيت أن أوردها هنا إتمامًـا للفائدة لعزة وجـودها، ثم أعقبهـا بشرح يميط اللثـام عن الأسماء الواردة فـيها، وأتبعـه بما استدركـته على الناظم من أسماء الكلب، وهى:

لله حمد دائم الوالى ... ثم صلاته على النبى

قد نقل الثقات عن أبى العلا ... لما أتى للمترضى ودخلا

قال له شخص به قد عثرا ... من ذلك الكلب الذى ما أبصرا

فقال فى جوابه قولا جلى ... معيرا لذلك المجتهل

الكلب من لم يدر من أسمائه ... سبعين موميًا إلا علائه

وقد تتبعت دواوين اللغة ... لعلنى أبلغ من ذا مبلغه

فجئت منها عدداً كثيراً ... وأرتجى فيما بقى تيسيراً

وقد نظمت ذاك فى هذا الرجز ... ليستفيدها الذى عنها عجز

فسمه هديت: بالتبرى ... يا صاح من معرة المعرى

١ - من ذلك البائع ثم الوازع ... والكلب والأبقع ثم الزارع

٢ - والخيطل السحام ثم الأسد ... والعريج العجوز ثم الأعقد

٣ - والأعنق الدر باس والعملس ... والقطرب الفرنى ثم الفلحس

٤ - والثغم الطلق مع العواء ... بالمد والقصر على السواء

٥ - وعد من أسمائه: البصير ... وفيه لغز قاله خبير

٦ - والعرب قد سموع قدمًا فى النفير ... داعى الضمير ثم هاء فى الضمير

٧ - وهكذا سموه داعى الكرم ... مشيد الذكر متمم النعم

٨ - وثمم وكالب وهبلغ ... ومنذر وأهوج وهجرع

٩ - ثم كسيب علم المذكر ... منه عن الهمزة واللام عرى

١٠ - والقلطى والسلوقى نسبه كذا النصيبى بذاك أشبه

١١ - والمستطير هائنج الكلاب كذا رواه صاحب العباب

١٢ - والدرص والجرو مثلث الفا لولد الكلب أسام تلفى

١٣ - والسمع فيما قاله الصولى وهو "أبو خالد" المكنى

١٤ - ونلوا الزاهدون للكلاب وكلب قيل لها أيضا: كساب

١٥ - مثل قطام علمًا مبنيًا وكسبة كذاك نقلا ربًا

١٦ - وخذ لها العولق ولعوة وكن لذاك راوية

١٧ - وولد الكلب من الذئبة سم عسبورة وإن تزل هالا تلم

١٨ - وألحقوا بذلك الخيهفعى وإن تعد فهو جاء سمعا

١٩ - وولد الكلبة من ذنب سمى وثعلب فيما رووا بالد يسم

٢٠ - ثم كلاب الماء بالهركلة تدعى وقس فردا على ماشاكله

٢١ - كذاك كلب الماء يدعى القندسًا فيما روى ابن دحية قد اتنسى

٢٢ - وكلبة الماء هى القضاعة جميع ذاك أثبتوا سماعه

٢٣ - وعددوا من جنسه ابن آوى ومن سماه دأل قد ساوى

ودئل ودول والدألان وافتح وضم معجمًا للذالان

كذلك العلوض ثم النوفل واللغوض السرحوب فيما نقلوا

والوع والعلوش ثم الوعوع والشغبر الوأوا فيما يسمع

هذا الذى من كتب جمعته وما بدا من بعد ذا ألحقته

والحمد لله لها ختام ثم على نبيه السلام

تمت الأرجوزة. ولنشرع معتمدين على ما دونوه فى كتب اللغة والأمثال والحيوان، وقد وضعنا أرقامًا للأبيات يرجع إليها فى هذا الشرح، فنقول:

الباقع والأبقع من الكلاب الذى خالط بياضه لون آخر، والبقع فى الطير والكلاب بمنزلة البلق فى الدواب، وقول الأخطل:

كلو الضب وابن الغير والباقع الذى يبيت يعس الليل بين المقابر

قيل أراد الكلب، وقيل غير ذلك، والعرب تقول: لا خير فى بقع الكلاب. وترى التبقيع هجنة فيها، وخير الكلاب عندها ما كان لونه يذهب إلى لون الأسد، وخير كلاب الصيد البيض. وفى المخصص: البقع بياض فى صدر الكلب الأسود، وهى البقعة، وكلب أبقع والجمع بقعان والوازع الكلب لأنه بزع الذئب عن الغنم أى يكفه، ويقال له ابن وازع أيضًا. والكلب كل سبع عقور، ثم غلب على هذا الناتج، كما فى القاموس وقال شارحه: قال شيخنا: بل صار حقيقة لغوية فيه لا تحتمل غيره، ولذلك قال الجوهرى وغيره:

هو معروف: ولم يحتاجوا لتعريفه لشهرته. انتهى، وهو من الأسماء التى نسمت بها العرب؛ فمن مشهوريهم فى ذلك:

كليب بن ربيعة من بنى تعلب بن وائل، وهو الذى ضربوا به المثل، فقالوا: أعز من كليب وائل، وقامت الحرب بسببه بين بكر وتعلب، وكان اسمه فى الأصل وائلا؛ وإنما سموه كليبًا، لأنه بلغ من عزه أنه كان يحمى الكلا بقرب حماه، ويجير الصيد فلا يهاج. وكان إذا مر بروضة أعجبته، أو غدير ارتضاه، كنع كليبًا ثم رمى به هناك، فحيث بلغ عواؤه كان حمى لا

يرعى، فلما حمى كليبه المرمى الكلاء قيل: أعز من كليب وائل. ثم غلب هذا الاسم عليه حتى ظنوه؛ وكذلك فى مجمع الأمثال للميدانى. وقوله:

كنع هو بمعنى بضع وكوع أى ضربه فصيره معوج الأكواع.

ومنهم كليب بن حبشية بن سلول فى خزاعة. وكلب بن عمرو بن لؤى فى بجيلة. وبنو كلب، وبنو أكلب، وبنو كلبة وبنو كلاب، قبائل معروفة، منها فى قريش كلاب بن مرة، وفى هوازن كلاب بن ربيعة ابن صعصعة. أما ذو الكلب فهو عمرو بن العجلان أحد شعراء هذيل لقب به لأنه كان له كلب لا يفارقه. وعائد الكلب هو عبد الله بن مصعب، كان واليًا للرشيد على المدينة، لقب بذلك لقوله:

مالى مرضت فلم يعدنى عائد منكم ويمرض كلبكم فأعود

وهو أحد من نطقوا فى الشعر بكلمات غابت شهرتها عليهم، فلقبوا بها، وربما جمعت ما وقفت عليه من ذلك فى رسالة مستقلة. والسبب الذى دعا العرب إلى تسمية أبنائها بمثل هذه الأسماء المستكرهة كالكلب والذئب والحجر والصخر، هو ما ذكره الراغب وغيره أن أعرابيًا سئل: لم سموا أبناءهم بالأسماء القبيحة، وعبيدهم بالحسنة؟ فقال لأن أبناءهم لأعدائهم، وعبيدهم لأنفسهم. قلت: وقد فصل الإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر المشهور بابن قيم الجوزية مذاهب العرب فى تسمية أبنائها تفصيلا ترتاح إليه النفس ويثلج به الفؤاد، فقال فى آخر كتابه "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة" عند الكلام على الفأل والطيرة، ما نصه: وكانت لهم مذاهب فى تسمية أولادهم: فمنهم من سموه بأسماء تفاولا بالظفر على أعدائهم، نحو غالب وغلاب ومالك وظالم وعارم ومنازل ومقاتل ومعارك

ومسهر ومؤرق ومصبح وطارق، ومنهم من تفاءل بالسلام كتسميتهم. مسالم وثابت ونحوه، ومنهم من تفاءل بنيل الحظوظ والسعادة كسعد وسعيد وأسعد ومسعود وسعدى وغانم ونحو ذلك، ومنهم من قصد للتسمية بأسماء السباع ترهيبًا لأعدائهم نحو أسد وليب وذائب وضرغام وشبل ونحوها، ومنهم من قصد التسمية بما غلظ وخشن من الأجسام تفاؤلا بالقوة كحجر وصخر وفهر وجندل، ومنهم من كان يخرج من منزله وامرأة تمخض، فيمسى ما تلده باسم أول ما يلقاه، كائنًا ما كان، من سبع أو ثعلب أو ضب أو كلب أو ظبى أو حشيش أو غيره. انتهى المقصود منه.

وأما ما سمى بالكلب أو أضيف إليه من البقاع والسيوف والأنهار وغيرها، فقد تركنا ذكره طلبًا للاختصار، وتقتصر منها على قربة بحلب تسمى جب الكلب، تعد من العجائب - لاشتهارها ببئر فيها إذا شرب منها المكاوب قبل أن يأتى عليه أربعون يومًا برأ. وكذا ذكر صاحب القاموس فى مادة ج بب. وقال ياقوت فى معجمه: حدثنى مالك هذه القرية ابن الإسكافى، وسألته عما يحكى عن هذا الجب وأن الذى نهشه الكلب الكلب إذا شرب منه برأ، فقال: هذا صحيح لاشك فيه. قال: وقد جاءنا منذ شهور ثلاث أنفس مكلوبين يسألون عن القرية، فدلوا عليها، فلما حصلوا فى صحرائها اضطرب أحدهم وجعل يقول لمن معه: أربطونى لئلا يصل إلى أحدكم منى أذى، وذلك أنه كان قد تجاوز أربعين يومًا منذ نهش، فربط، فلما وصل إلى الجب وشرب من مائه مات. وأما الآخرون فلم يكونا بلغا أربعين يومًا، فشربا من ماء الجب فبرآ قال: وهذه عادته، إذا تجاوز المنهوش أربعين يومًا لم تكن فيه حيلة. إلى أن قال: وهذا البئر هى بئر القرية التى يشرب منها أهلها. انتهى:

قلت: ولا أدرى ما فعل الله بالقرية والبئر، وإنما خصصتها بالذكر دون غيرها تنبيها لأطباء هذا العصر، لعلهم يتوفقون للبحث والتنقيب عنها، حتى إذا وجدوها امتحنوا ماءها، فربما كان فيه من الأفلاح أو غيرها ما من خاصيته شفاء هذا المرض، وعسى ألا تأخذهم حمية الجاهلية فيضربوا بهذا القول عرض الحائط بغير حجة سوى ما اعتادوه من احتقار أقوال علمائنا المتقدمين، فلولا تجربة هذا الماء وظهور نفعه فى المصابين قبل أن يجاوزوا أربعين يومًا، أى قبل استفحال الداء وتمكنه منهم، لما استفاض خبره، ونقله هؤلاء الأعلام، ولا فائدة لمثلهم فى التواطؤ على الكذب فى مثله.

والزارع بتقديم الزاى على الراء، الكلب، وفى القاموس: زارع اسم كلب، ومنه قيل للكلاب: أولاد زارع، وفيه أيضًا فى مادة (ذرع) بالذال المعجمة: أولاد ذارع، وذارع بالكسر: الكلاب. وفى المخصص: قال على ابن حمزة: ابن زارع وابن ذراع وابن وازع: الكلب، وربما سمى: وازعًا أيضًا. انتهى.

الخيطل - بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة التحتية، وفتح الطاء المهملة وبعدها لام: الكلب والسحام - بضم السين المهملة، وبعدها حاء مهملة، مأخوذ من السحمة وهى السواد، والذى يؤخذ من نصوص كتب اللغة أنه علم على كلب معين لا اسم جنس للكلاب. قال الجوهرى.

سحام اسم كلب، واستشهد بقول لبيد:

فتقصدت منها كساب فضرجت يدم وغودر فى المكر سجامها

ووافقه فى ذلك شراح المعلقات، وهو ظاهر من سياق البيت. وفى لسان العرب: سحيم وسحام من أسماء الكلاب، ثم أنشد بيت لبيد.

وذهب صاحب القاموس إلى أن صوابه بالمعجمة قال: ووهم الجوهرى. قلت: لا وهم، فقد ذكر بعض شراح المعلقات أنه يروى بهما، ووافقه الميدانى فى مجمع الأمثال عند تفسير قولهم (هنيئًا لسحام ما أكل) فإنه أورد البيت ثم قال: ويروى سخامها - بالخاء. وهذا المثل يضرب فى الشماته بهلاك العدو. وقول الزوزنى فى شرح المعلقات أنه اسم كلبة، يخالف ما أجمعوا عليه من أنه اسم كلب ذكر. والله أعلم.

والأسد لم أعثر فى كتب اللغة على أنه يطلق على الكلب، وإنما الذى فيها أن الكلب من أسماء الأسد. والعربج بضم العين المهملة، وسكون الراء وضم الباء الموحدة وبعدها جيم: الكلب الضخم، كما فى القاموس، أو كلب الصيد، كما فى اللسان. والعجوز بفتح العين وضم الجيم وبعدها واو ساكنه وزارى: من أسماء الكلب. والأعقد - بالعين المهملة، والقاف، والدال المهملة: الكلب لانعقاد ذنبه، وجعلوه اسمًا له معروفًا قال جرير:

تبول على القاد بنات تيم مع العقد النوابح فى الديار

قالوا: ليس شىء أحب إلى الكلب من أن يبول على قتادة أو على شجيرة صغيرة غيرها. وروى الجاحظ فى "كتاب الحيوان" لمساور بن هند يهجو قومًا بأكلون الكلاب:

إذا أسدية ولدت غلامًا فبشرها بلؤم فى الغلام

يخرسها نساء بنى دبير بأخبث ما يكون من الطعام

ترى أظفار أعقد ملقيات برثنها على وضم الثمام

يخرسها أى يصنعن لها الخرسة وهى طعام النفساء، ودبير بالتصغير أبو

قبيلة من أسد، والو ضم بالتحريك ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب أو حصير، والثمام نبت ضعيف لا يطول كانوا يفرشونه تحت الأسافى ونحوها، وربما مشو به وسدوا خصاص البيوت.

(٣) الأعنق - بالعين المهملة والنون والقاف: الكلب فى عنقه بياض، ويقال للقلادة التى توضع فى عنق الكلب: معنقة، وقد أعنقه إذا أقدره إياها، ويقال لها أيضا الجدة بالكسر، وكذلك الأربة بالضم قلادة الكلب التى يقاد بها.

والدر باس - بكسر الدال المهملة وسكون الراء وبعدهما باء موحدة وألف وسين مهملة: الكلب العقور. والعملس بفتح المهملة والميم واللام المشددة، وبعدهما سين مهملة: كلب الصيد كما فى القوس، أو الكلب الخبيث كما فى اللسان. على أنه أنشد بعد ذلك قول الطرماح يصف كلاب الصيد:

يوزع بالأمراس كل عملس من المطعمات الصيد غير الشواحن

وقال فى تفسير يوزع: يكف، ورواه فى مادة ودع: يودع، ثم قال: أى يقلدها ودع الأمراس.

والقطرب - بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء، وبعد باء موحدة: الصغير من الكلاب. وفى المخصص: القطرب أى بفتح القاف والراء. . صغار الكلاب، زعموا أن الواحد قطرب، وليس هو جمع بل اسم للجمع. انتهى ملخصًا. .

والفرنى - بضم الفاء وسكون الراء وبعدها نون وياء مشددة: الكلب الضخم، قال العجاج:

قال ابن برى: أراد الضخم من الكلاب، وقال غيره: إنما أراد الرجل الغليظ الضخم.

والفلحس بفتح وسكون اللام وفتح الحاء المهملة وبعدها سين مهملة: الكلب. قال الجاحظ فى كتاب "الحيوان". ويقال للكب: فلحسن، وهو من صفات الحرص والإلحاح، ويقال: فلان اسأل من فلحس. وفلحس رجل من بنى شيبان كان حريصًا غريبًا وملحفًا ملحًا، وكل طفيلى فهو عندهم فلحس. انتهى.

قلت: وإنما سموا الكلب بذلك لأنه موصف عندهم بالحرص والإلحاح، حتى قالوا فى أمثالهم: (ألح من كلب)

(٤) الثغم: يفتتح الثاء المثلثة وكسر المعجمة وبعدها ميم:

الكلب الضارى والطلق بفتح الطاء المهملة وسكون اللام وبعدهما قاف: كلب الصيد.

والعواء بالعين المهملة وبالمد، ويقال أيضًا بالقصر: الكلب يعوى كثيراً. وللوزير أبى الوليد إسماعيل بن حجاج الأعلم الأشبيلى فى فتى عضه كلب فى خده:

وأغيد وضاح المباسم باسم ... إذا قامر الأرواح ناظره قمر

نعمد كلب عض وجنته التى ... هى الوارد إيناعا وأبقى بها أثر

فقلت لشهب الأفق كيف صماتكم ... وقد أثر العواء فى صفحة القمر

هكذا رواها صاحب "نفح الطيب" فى موضع من كتابه منسوبة للوزير المذكور، وأعادها فى موضع آخر منسوبة لأبى القاسم بن هشام، وروى المحاسن بدل المباسم، والأسياف بدل الأرواح. والله أعلم.

والصمات، بالضم والصمت والصموت: السكوت، يشير بذلك إلى قولهم: لا يضر القمر نبح الكلاب، وأصل المثل "لا يضر السحاب نبح الكلاب" لأن كلاب البادية تتأذى بالمطر لمبيتها أبدًا تحت السماء، فإذا أبصرت غيما نبحته، لأنها قد عرفت ما تلقى من مقله. وتبح أيضا القمر، لأنه إذا طلع من المشرق يكون كقطعة غيم، ومنه قول بعضهم:

يا جابر بن عدى أنت مع زفر كالكلب من بعد على القمر

(٥) البصير، بفتح الباء الموحدة، وكسر الصاد المهملة، وبعدها ياء ساكنه وراء مهملة، لم يذكره القاموس، وأنشد صاحب اللسان لتوبة:

وأشرف بالغور اليفاع لعلنى ارى نار ليلى أو يرانى بصيرها

ثم قال نقلا عن ابن سيده: يعنى كلبها، لأن الكلب من أحد العيون بصراً. انتهى.

قلت: وقد جاء فى أمثالهم "أبصر من كلب". وقول الناظم: "وفيه لغز قاله خبير" يريد بذلك قول الحريرى فى المقامة الثانية والثلاثين فى فتاوى فقيه العرب. قال "أيسباح ماء الضرير؟ قال: نعم، ويجتنب ماء البصير" فالمتبادر أن الضرير هو الأعمى وهو لا يستباح ماؤه الذى يملكه بدون عمله، ومراد الشيخ به: حرف الوادى، وكذلك المتبادر فى البصير أنه ضد الأعمى، وماؤه إذا أخذ للوضوء بإطلاعه لا يجتنب، وإنما أراد به الكلب: هكذا فسره الحريرى نفسه فى المقامة.

(٦) هكذا رواية البيت فى نسختين من الأصل، ولم يظهر لى وجه تسمية العرب للكلب فى نفيرهم بداعى الضمير أو داعى الضميرة كما يفهم من سياقه، فلعل الكلام محرف، وقد دخل البيت التذبيل، وهو من علل الزيادة ودخوله فى الرجز مغتفر للمولدين.

(٧) قوله: داعى الكرم، إنما سموه بذلك على ما يظهر، لأن نباح الكلب يبشرهم بقدوم الضيف، ويرشده إلى منزلهم، فيكون سببًا للكرم وداعيًا إليه. وقد كان الرجل من العرب إذا ضل وتحير فى الليل، فلم يدر أين البيوت، أخرج صوته على مثل النباح، فتسمعه الكلاب وتظنه كلبًا، فتنبح. فيستدل بنباحها ويهتدى إلى المكان. وهو الذى تسميه العرب بالمستنبح. وأنشد أبو على القالى فى أماليه:

ومبد لبى الشحناء بينى وبينه　　دعوت وقد طال السرى فدعانى

يعنى كلبا، ويريد نبحث له فنبح فأهتديت به؛ فكأنما دعانى بنباحه وأنشد أبو على أيضا:

ومستنبح بات الصدى يستثيهه　　فتاه وجوز الليل مضطرب الكسر

رفعت له نارًا ثقوبًا زنادها　　تليح إلى السارى هلم إلى قدرى

فلما أنى والبؤس رادف رحله　　تلقيته منى بوجه أمرى بشر

فقلت له أهل بأهل فلم يجر　　بك الليل إلا للجميل من الأمر

وكادت تطير الشول عرفان صوته　　ولم تمس إلا وهى خائفة العقر

انتهى

وقد اتفق أكثر علماء الأدب، كابن رشيق وأضرابه، على أن أهجى بيت قالته العرب، قول الأخطل فى بنى يربوع قوم جرير:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا: لأمهم بولى على النار

وقال آخر يوصى بالكلب، وأنشدهما الجرجانى فى كناياته، وقال ابن المرزبان: إنهما لأعرابى قالهما لأكبر ولده فى كلبه:

أوصيك خيراً به فإن له خلائقًا لا أزال أحمدها

يدل ضيفى على فى غسق الليـ ـل إذا النار نام موقدها

وفى معنى استنتج أيضا: كلب الرجل يكلب من باب ضرب، واستكلب، أنشد ابن سيده على الأول:

وداع دعا بعد ما أقفرت عليه البلاد ولم يكلب

وأنشد صاحب اللسان على الثانى:

ونبح الكلاب لمستكلب انتهى.

قلت: وكما يكون الكلب سببا لإبصال الخير وتشييد الذكر فقد يكون أيضًا سببًا للشر، كما جئت على أهلها براقش، وهى كلبة كانت لقوم من العرب، فأغير عليهم، فهربوا وهى معهم، فاستدل العدو عليهم بنباحها، فهجموا عليهم واصطلموهم، فقالوا (على أهلها تجنى براقش) هكذا رواه الميدانى فى مجمع الأمثال. ورواه ابن سيده فى المخصص، والجاحظ فى كتاب الحيوان: (على أهلها دلت براقش). على أن نباح الكلب على

الضيف وإن جعلوه من دواعى الكرم، لما سبق ذكره؛ فقد رأيناهم يعدونه فى نفسه من خصاله المذمومة، لأنه لا ينبح على القادم إلا كراهة منه

فى الغريب. ومن أحسن ما يروى فى هذا الصدد نادرة أبى عبد الله محمد بن مرزوق عالم المغرب من أهل تونس لما ورد عليهم وسألوه قراءة درس فى التفسير بحضرة السلطان، فأجابهم إلى ذلك، وعينوا له محمل البدء، فطالع فيه، فلما حضروا قرأ القارئ غير ذلك، وهو قوله تعالى: "فمثله كمثل الكلب.. الآية، وأرادوا بذلك إفحام الشيخ والتعريض به، فوجم هنيهة ثم تفجر بينابيع العلم، إلى أن أجرى ذكر ما فى الكلب من الخصال المحمودة، وساقها أحسن مساق، وأنشد عليها الشواهد، وجلب الحكايات. حتى عد من ذلك جملة؛ ثم قال فى آخرها: فهذا ما حضر من محمود أفعال الكلب وخصاله، غير أن فيه خصلة ذميمة، وهى أنكاره للضيف. انتهى.

وعندى أن ذمهم له بإنكاره الضيف لم يقصدوا به إلا معنى من المعانى الشعرية، وإلا فأى فائدة من الكلب أعظم من حراسته أهله، ودفعه عنهم؟!

(٨) الثمم - بفتح الثائين المثلثتين وسكون الميم الأولى: كلب الصيد. والكالب ليس اسما للكلب، بل هو والكليب كأمير: جماعة الكلاب، فى اللسان: الكليب كالعبيد، جمع عزيز. وأنشد فى وصف منازة:

كأن تجاوب أصدائها مكاء المكلب يدعو الكليبا

والمكلب بكسر اللام المشددة: معلم كلاب الصيد. ومكاؤه صغيره وقال شارح القاموس نقلا عن شيخة: إنهم اختلفوا فى الكليب هل هو جمع أو اسم جمع، وصححوا أنه إذا ذكر كان اسم كالحجيج، وإذا أنث كان جمعًا كالعبيد. انتهى وهبلع - كدرهم، أى بكسر الهاء وسكون الباء الموحدة وفتح اللام وبعدها عين مهملة: الكلب السلوقى، واسم كلب بعينه ومنذر كأنه من أنذار أهله بالطارق. وانعوج لم يذكروه، وذكره الجاحظ على أنه الكلب فى

بيت أنشده فى كتاب الحيوان. والهيجرع - بكسر الهاء وسكون الجيم وفتح الراء وبعدها عين مهملة: الكلب السلوقى الخفيف.

(٩) كسيب مصفرًا: اسم كلب، كما فى المخصص، وفى اللسان: كسيب من أسماء الكلاب، ومراده من الأعلام التى تسمى بها الكلاب؛ كما وضحه الناظم فى البيت. وقد خصوه بذكور الكلاب كما خصوا كساب وكسبة بإنائها. وسيأتى قول الناظم فيها، إنما كانوا يسمون كلابهم بذلك تفاؤلا بالكسب والاكتساب.

(١٠) القلطى بفتح القاف واللام وكسر الطاء المهملة وبعدها ياء مشددة والقلاط - كغراب، والقيليط -بكسر القاف واللام، كل ذلك القصير المجتمع من الناس والسنانير والكلاب: وقد جاء به أبو الشمقمق فى قوله من أبيات:

جئته زائرًا مكانى وتلقى بمرحب وتحيه

لا كمثل الأصم حارثة اللؤم شبيه الكليبة القليطية

وفى حياة الحيوان أن القلطى نوع من الكلاب السلوقية صغير الجرم قصير القوائم، ويقال له الصينى.

والسلوقى - بفتح السين المهملة، نسبة إلى سلوق، وهى أرض أو قرية باليمن، وذهب الجوهرى إلى أنها مدينة بالشام، قال القطامى:

معهم ضوار من سلوق كأنها حصن تجول تجرر الارسانا

وفى معجم ياقوت نقلا عن ابن الحائك، وهو يذكر اليمن: سلوق كانت مدينة عظيمة بأرض الجديد، واسم بقعتها اليوم حسل الزينة. إلى أن قال: وإليها كانت العرب تنسب الدروع السلوقية والكلاب السلوقية. انتهى.

وقيل: سلوق بلد بطرف أمينية يعرف ببلد اللاق، وتنسب إليه الكلاب. وقيل: بل هى منسوبة إلى سلقية بفتحتين فسكون وباء مفتوحة نخففة: بلد بالروم، فلما نسبوا إليه قالوا: سلوقى. فغيروا النسب وجاء فى اللسان: سلوق أرض باليمن، وفى التهذيب: قرية باليمن، وهى بالرومية: سلقية. انتهى فسلقية على هذا فى اللغة الرومية هى سلوق التى باليمن والله أعلم أما علماء الحيوان من الأفرنج اليوم، فيقسمون السلوقى إلى عدة أنواع، لكل صقع نوع، واسمه فى لغة الفرنسيس لفريه: (Levrer) ويذهبون إلى أن أنواعه تفرعت من جنس أصلى كان فى سهول غربى آسيا، ولهم فى تعديدها كلام كثير ليس هذا موضعه. ورأيت فى المعجم الكبير للاروس أن السلوقى (Slough) الحقيقى يوجد فى الأقاليم الهندية الغربية وهو أصهب اللون.

والنصيبى - بفح النون وكسر الصاد المهملة، نسبة إلى نصيبين، ويقال فى النسبة إليها: نصيبى أيضًا. وهى ثلاثة مواضع: مدينة من بلاد الجزيرة وقرية من قرى حلب، ومدينة بشاطئ الفرات، تعرف بنصيبين الروم. ولم أر أحد انص على اشتهار واحدة منها بنوع من الكلاب ينسب إليها، فإما أن يكون الناظم رآه فى كتاب لم نطلع عليه، أو يكون أراد الصينى، فحرفة الناسخ، وعلى هذا يكون الشطر وكذلك الصينى بذاك أشبه أو نحو ذلك. وقد مر بك عن الدميرى فى "حياة الحيوان" أن القلطى يقال له: الصينى. فقول الناظم (بذاك أشبه) بعد ذكره القلطى، يرجح أنه أراد الصينى. على أن كثيراً من أئمه اللغة لا يذكرون الصينى إلا فى معرض رده وتغليط قائله فقالوا: كلب زئنى: قصير، ولا تقل صينى. ورأيت الجاحظ جمع بينهما فى كتاب الحيوان فقال: "الكلب الزئنى الصينى يسرج على رأسه ساعات كثيرة

من الليل فلا يتحرك. وقد كان فى بنى ضبة كلب زئنى صينى يسرج على رأسه فلا ينبض فيه نابض ويدعونه باسمه، ويرمى إليه ببضعة اللحم، والمسرجة على رأسه فلا يميل ولا يتحرك، حتى يكون القوم هم الذين يأخذون المصباح من رأسه، فإذا ازيل عن رأسه على اللحم فأكله. درب مدرب وثقف فتثقف، وأدب فقبل) وعلى كل حال فالصينى ذكروه وإن خطأ بعضهم قائله، بخلاف النصيبى، فأنا لم تر أحد ذكره فيما نعلم.

١١ - المستطير - بالسين والطاء والراء المهملة جميعها: الكلب الهائج أى الطالب السفاد. وأراد الناظم بالعباب: كتاب العباب الزاخر فى اللغة وهو كتاب كبير يقع فى عشرين مجلدا للإمام حسن بن محمد الصاغانى المتوفى سنة ١٦٥٠، بلغ فيه إلى الميم، ووقف فى مادة بكم، ومات قبل إتمامه، ولهذا قيل:

إن الضغانى الذى حاز العلوم والحكم

كان قصارى أمره أن انتهى إلى بكم

(١٢) الدرص - بتثليث الدال المهملة وسكون الراء وبعدهما صاد مهلمة ولد الكلب، وكذلك الجرو مثلث الأول.

(١٣) السمع - بكسر السين المهملة وسكون الميم وبعدهما عين مهملة أورد، الناظم على أنه من أسماء ولد الكلب، نقلا عن الصولى والذى فى مادة (س م ع) من كتب اللغة أنه سبع مركب.

وهو ولد الذئب من الضبع، ومن أمثالهم: (أسمع من سمع) ومن السمع: الازل. قال:

تراه حديد الطرف أبلج واضحًا أغر طويل الباع أسمع من سمع

ثم رأيت فى مادة (خ ى ه ف ع) من اللسان أنه ولد الكلبة من الذئب نقلا عن الأزهرى، ورأيت أيضًا فى جزء للناظم سماه "التهذيب فى أسماء الذيب" أن السمع بين الذئب والكلب. وأبو خالد: من كنى الكلب، ذكره الناظم فى المزهر، قال أبو السعادات المبارك ابن الأثير فى المرضع: أبو خالد هو الكلب، من قولك: أخلد الرجل بصاحبه إذا لزمه، وأخذ بالمكان إذا أقام به. وهو كنية الثعلب أيضًا. انتهى.

قلت: وللكلب كنى أخرى سنذكرها فيما استدركناه على الناظم بعد تمام الشرح.

(١٤ و ١٥) فى نستخين من الأصل بإسقاط لفظة (أيضًا) من عجز البيت، فيصير الشطر: (وكلبة قيل لها كساب) ولابد فى هذه الحالة من كسر باء كساب للوزن، وهو مع هذا لا يلتئم مع الصدر؛ لأن العروض دخلتها إحدى علل الزيادة وهى التذييل، ودخوله فى الرجز مغتفر للمولدين. والبيت مصرع، ولابد فى التصريع من مطابقة الضرب للعروض فى الوزن والقافية؛ فلهذا اضطررنا لزيادة (أيضًا) مع التنبيه عليها فى الشرح ليلتئم الشطران فى الوزن. ويمكن أن يقال بإسقاطها:

ونقلوا الزهاد للكلاب وكلبة قيل لها كساب

إلا أن احتمال سقوط لفظة من قلم الناسخ سهوا أقرب من تغيير (الزاهدون) بالزهاد. أما وصف الكلب بالزهد، فقد وقفت فى مجموع على رسالة فى خصال الكلب المحمودة، تنسب للحسن البصرى، جاء فيها ما نصه: (الخصلة الرابعة، أنه إذا مات لا يكون له ميراث، وذلك من أخلاق

الزاهدين) وكنت فى ريب من أمـر هذه الرسالة، حتى رأيتـها فى نفح الطيب مسوقـة فى ترجمة أبى عبد الله الراعى الغـرناطى، وذكر أنه أوردها فى باب العلم من شرحه على الألفية، منسوبة للحسن البصرى. والله أعلم.

ومن أمثـالهم فى ذلك: (أشكر من كلب) إلا أن الأكثرين على وصـفه بالحرص والشره، ومن أمثالهم فيـه (أحرص من كلب على جيفة) ومن كلب على عرق، والعـرق بالفتح: العظم عليه اللحم، أو الذى أكل لحـمه. وقالوا أيضًا (ألام من كلب عـلى عرق) و (أنهم من كلب). وكسـاب كقطام مـبنيا على الكسر: الذئـب، كما فى القـاموس، وفى الصحـاح والمخصص من أنه اسم كلبة، وهو الذى أراده الناظم. وقد مر بك بيت لبيـد الذى ذكر فيه كلبة تسمى بهذا الاسم. ومثله كسبة بالفتح، قال الأعشى:

ولز كسبة أخرى فرعها فهق

(١٦) العولق بفتح العين المهملة وسكون الواو وفتح اللام وبعدها قاف: الكلبة الحريصـة. والمعاوية الكلبة المستحـرمة تعوى إلى الكلاب. ومن طريف ما يحكى أن جارية بن قدامة دخل على أميـر المؤمنين معاوية بن أبى سفيان، فقال له: ما كان أهونك على أهلك إذ سمـوك جارية! فقال: وما كان أهونك على أهلك إذ سموك معاوية! وهى الأنثى من الكلاب. ويروى أن شريك بن الأعور دخل وكـان دميما، فـقال له معاويـة: إنك لدميم والجميل خـير من الدسيم، وإنك سـدت قومك؟ فقـال له: إنك معـاوية، وما معـاوية إلا كلبة عوث فاستعوت الكلاب، وإنك لابن صخـر والسهل خير من الصخر، وإنك لابن حـرب والسلم خيـر من الحـرب، وإنك لابن أميـة، وما أميـة إلا أمـة صغرت، فكيف صرت أمير المؤمنين؟!

ويشبه هذا ما رواه أبو هلا فى الصناعتين: أن رجلا من قريش قال لخالد بن صفوان: ما اسمك؟ قال خالد بن صفوان بن الأهتم، فقال الرجل: إن اسمك لكذب، ما خلد أحد. وإن أباك لصفوان، وهو حجر. وإن جدك لأهتم، والصحيح خير من الأهتم. قال خالد: من أى قريش أنت؟ قال: من بنى عبد الدار. قال: فمثلك يشتم تميما فى عزها وحسبها، وقد هشمتك هاشم، وأمتك أمية، وجمحت بك جمح، وخزمتك مخزوم، وأقصتك قصى فجعلتك عبد دارها، وموضع شنارها؛ تفتح لهم الأبواب إذا دخلوا، وتغلقها إذا خرجوا! انتهى.

واللعوة بفتح اللام وسكون العين المهملة، واللعادة، واللعادة بفتحين: الكلبة من غير تخصيص بشره وحرص، وقال الجاحظ فى كتاب "الحيوان": يقال أحرص من لعوة، وهى الكلبة. وفى اللسان ومجمع الأمثال للميدانى: (أجوع من لعوة).

(١٧) العسبورة بضم العين وسكون السين المهملتين وضم الباء الموحدة وبعدها واو ساكنة وراء وهاء: ولد الكلب من الذئبة، ويقال له: العسبور أيضًا، ولهذا قال الناظم (وإن تزل هالا تلم) أى إن نطقت به بدون هاء لا يلومك إنسان، لأنه مسموع.

(١٨) الخيهفعى بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة التحتية، وفتح الاهاء والفاء والعين المهملة مقصورًا: ولد الكلب من الذئبة. وقد سمع أيضًا بالمد. وفى اللسان: حكى الأزهرى عن أبى تراب قال: سمعت أعرابيًا من بنى تميم يكنى أبا الخيفهعى، وسألته عن تفسير كنيته، فقال: يقال إذا وقع الذئب على الكلبة جاءت بالسمع، وإذا وقع الكلب على الذئبة جاءت بالخيهفعى.

قال: رئيس هذا على أبنية أسمائهم مع اجتماع أحرف من حروف الخلق وقال عن هذه الحروف وعما قبله فى باب رباعى العين فى كتابه: وهذه حروف لا أعرفها، ولم أجد لها أصلافى كتب الثقات الذين أخذوا عن العرب العاربة ما أودعوا كتبهم، ولم أذكرها وأنا أحقها، ولكنى ذكرتها استنداراً لها وتعجبًا منها، ولا أدرى ما صحتها. انتهى.

(١٩) الديسم بفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة التحتية وفتح السين المهملة وبعدها ميم: ولد الثعلب من الكلبة، أو ولد الذئب منها. هكذا فى القاموس واللسان، وقال الجوهرى فى الصحاح الديسم: ولد الدب، قال: وقلت لأبى الغوث: يقال إنه ولد الذئب من الكلية، فقال: ما هو إلا ولد الدب. انتهى. وقال الجاحظ: إنه ولد الذئب من الكلبة، وهو أغبر اللون وغبرته ممتزجة بسواد.

(٢٠) الهرا كلة بفتح الهاء والراء وكسر الكاف وفتح اللام. كلاب الماء وقول ابن أحمر الباهلى يصف درة:

رأى من دونها الغواص هؤلا هرا كلة وحيتانًا ونونا

فسره الأزهرى فى التهذيب بكلاب الماء. والصاغانى فى العباب: هى جمال الماء، وقيل: هى ضخام السمك.

(٢١) القندس كقنفذ، أى بضم القاف وسكون النون وضم الدال المهملة وبعدها سين مهملة، كلب الماء. أهمله القاموس واللسان والمخصص، وذكره شارح القاموس والدميرى فى حياة الحيوان، ونسبا تفسيره بذلك لابن وحية. كما ذكره الناظم، وعبارته تفيد انه أهمل ونسى.

(٢٢) القضاعة بضم القاف وفتح الضاد المعجمة والعين المهملة: اسم كلبة الماء.

(٢٣) شرع الناظم فى هذا البيت وما بعده يعدد أسماء ابن آوى، تبعًا لمن عده نوعا من الكلاب، فذكر من أسمائه: الدال بفتح الدال المهملة وسكون الهمزة وبعدهما لام. والدئل بضم فكسر، وقد نصوا على أن لا نظير لها إلا رئم والدول بضمتين. والدالان محركة، ويقال فيه الذألان بفتح الذال المعجمة، والذؤلان بضمها، إلا أن الهمزة فيها ساكنة. والعلوض بكسر العين المهملة وفتح اللام المشددة، وسكون الواو وبعدها ضاد معجمة. والنوفل بفتح النون وسكون الواو وفتح الفاء وبعدها لام. واللعوض بفتح اللام وسكون العين المهملة وفتح الواو، وبعدها ضاد معجمة. والسرحوب بضم السين المهملة وسكون الراء وضم الحاء المهملة وبعدها واو ساكنة وباء موحدة. والوع بفتح الواو وبعدها عين مهملة مشددة. والعلوش بكسر العين المهملة وفتح اللام المشددة وبعدهما واو ساكنة وشين معجمة. والوعوع بفتح الواوين وإسكان العين الأولى المهملة. والشغبر بفتح الشين وإسكان الغين المعجمتين، وفتح الباء الموحدة وبعدها راء؛ وبالزاى المعجمة تصحيف. والواو واء بفتح الواوين وسكون الهمزة الاولى. وكلها من أسماء ابن آوى.

هذا ما أردنا بيانه، ويتبين منه ثلاثة أمور:

الأول: أن الناظم - رحمه الله - مع استيفائه لكثير من أسماء الكلب قد أدرج فيها بعض صفات يشترك فيها الكلب مع غيره، ولم نجد مع كثرة البحث نصا على أنها غلبت عليه، حتى يمكن عدها فى أسمائه؛ كذكره الزاهد والمنذر، وداعى الكرم، ومشيد الذكر ونحوها. فالظاهر أنه تسامح فى

إيرادها، أو يكون وقف فيها على ما لم نقف عليه. وفوق كل ذى علم عليم.

الأمر الثانى: إيراده أربعة أعلام مشهورة للكلاب نص منها على ثلاثة، وهى: كسيب وكساب وكسبة، وسكت عن واحد وهو سحام، فدل بسكوته على عدة من أسماء الأجناس، وكلاهما لا يبرئه من معرة المعرمى؛ لأن جعل سحام اسما وهم ظاهر. وإيراد ثلاثة أعلام خارج عن مقصود أبى العلاء. إلا أن يكون أوردها زيادة منه فى الفائدة. وهو أيضًا تقصير، لاقتصار "عليها، مع وجود ما هو أشهر منها.

الأمر الثالث: ما فاته من أسمائه، وهو ما نريد استدراكه هنا، وبعضه مر أثناء الشرح. فمنها:

"الدرواس" بكسر أوله، وهو الغليظ العنق من الكلاب، وقيل الكبير الرأس منها، وقول بعضهم:

بتنا وبات سقيط الطل يضربنا عند الندول قرانا نبح درواس

قيل: إن أولى ما يفسر به: الكلب، لقوله: قرانا نبح درواس؛ لأن النبح إنما هو فى الأصل للكلاب. وقوله الندول، يجوز أنه عنى به امرأة أو رجلا من النذل وهو شبيه الوسخ، أو عنى به كلبة. ورواه الجاحظ فى كتاب الحيوان: (بين البيوت). ودوراس أيضًا: اسم كلب بعينه. والأظهر أن البيت قيل فيه، أو فى كلب آخر يسمى بهذا الاسم.

و"الأرشم" قالوا سمى بذلك لتشممة الطعام وحرصه. وقد يطلق أيضًا على الذئب.

و"العفـراس" بالكسر، وهو الشديد العنق الغليظة من الكلاب، ومثله "العـفرنس". و"القـلاط" بالضم و "القـيليط" بالكسـر كلاهـما القـصيـر المجتمع، ويقال فيهما: القلطى، وقد ذكره الناظم.

والأغـضف" ومثلـه "الغاضف" وهو المسـترخى الأذن من الكلاب، وفرق بينهما ابن الأعرابى فـقال: الغاضف من الكلاب المتكسر أعلى أذنه إلى مقدمـه، والأغضف إلى خلفه، كذا فى اللسان. ثم قـال: والغضف: كلاب الصيد من ذلك صفة غالب. انتهى: وقول لبيد:

حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا غضفًا دواجن قافلا أعصامها

أراد كلاب الصيد.

و"ابن بقيع" بالتـصغير ذكـره ابن الأثير فى المرضع. و"ابن وازع وابن زارع وابن ذارع وابن بوزع وابن عولق".

فهذه خمسة عشر اسمًا للكلب فاتت الناظم.

وفاته من أسماء أولاده:

"الضرو" بالكسـر، وهو الضارى من أولاد الكتاب. ومـثله "الضرى" و"الأسبـور" وهو ولد الكلب من الضـبع، كما فى حـياة الحـيوان ومـجمع الأمثال، عند تفسير قولهم: "أسمع من سمع".

وفاته من أسماء ابن آوى:

"البرعل" بالضم، وهو ولد الوبر من ابن آوى.

وفاته من أسماء الكلبة:

"اللعاة" بفتحتين، وهى الكلبة الحريصة، أو الكلبة مطلقًا من غير تخصيص.

"والبوزع" وهى الكلبة الحريصة، كما فى المرصع.

وفاته من كنى الكلب: "أبو حاتم" و. "أبو ذراع". و "أبو قيس" و "أبو عامر" لأنه يعمر بيت صاحبه بحراسته إياه. و"أبو عطاف" بكسر العين والتخفيف، لأنه يعطف على أصحابه، قال العجاج يصف صائدًا.

ذا أكلب كالأسهم العطاف يشلى عطافًا وأبا عطاف

كذا فى المرضع. ورواية الديوان. ذا أكلب نواهز خفاف.

ومن أمثالهم فى هذا المعنى: "آلف من كلب".

ولهم فى وفاء الكلب وعطفه على صاحبه أقوال ونوادر كثيرة، وربما فضلوه فى ذلك على الصاحب والخليل. وقد جمع منها ابن المرزبان جملة صالحة فى كتاب سماه: "فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب" وقفت عليه ونقلت منه فى هذه الرسالة. ومن وقف على ما كتبه الجاحظ عن الكلب فى كتاب "الحيوان" رأى عجبًا عجابًا. ويذكرون من نوادر أن الربيع بن بدر كان له كلب قد رباه، فلما مات جعل الكلب يتضرب على قبره حتى مات. ولما مات عامر بن غبرة لزمت كلابه قبره حتى ماتت عنده، وتفرق عنه الأهل والأقارب. وقال الشعبى: خير خصلة فى الكلب أنه لا ينافق فى محبته. وأنشد القالى فى أماليه لأعرابى:

كـــلاب الناس إن فكرت فـــيـــهم أضـــر عليـك من كلب الـكلاب

لأن الصـلب لا يؤذى صـــديقًـــا وأن صـــديق هـذا فى عـــذاب

ويأتـى حـــيـن يأتـى فى ثيـــاب وقـد حـزمت على رجل مـصـاب

فـــأخـــزى الـله أثوابًـا عليـــه وأخـزى الله مـا تحت الثـيـاب

ومن أغرب ما رأيته ما حكاه الجرجانى فـى كتاباته عن محمد بن حرب قال: رأيت العتابى يـنادم كلبًا يشرب كأسًا ويولغه كأسًـا. فكلمته فى ذلك، فقال: إنه يكف عنى أذاه وأذى سواه، ويشكر قليلى، ويحفظ مبيتى ومقيلى، فهو مـن بين الحيوان خليلى. قال ابن حـرب: فتمنيت أن أكون كلـبًا لأحوز هذا النعت. انتهى. وقـد ذكر ابن المرزبان هذه القصـة لإبراهيم الموصلى مع الفضل ابن يحيى ببعض اختلاف. والله أعلم.

ولم يذكر الناظم من كنى الأنثى شيئًا وهى:

"أم عولق" و"أم ذراع" و"أم الهمرش" بتشديد المـيم المفتوحة كما فى المرضع: وفى القاموس واللـسان: الهمرش اسم كلبة. و"أم يعـفور" قال فى المرصع: هى الكلبة، وأنشد:

يا أم يعفور سقاك العهد لا زال من صيد عليك لبد

يقول: لا زال عليك مما تصيدين لبد من وبر الأرانب وغيرها. واليعفور فى الأصل: ولد الظبيـة وولد البقرة الوحـشية. و"أم العـاويات" والعاويات أولادها.

وكذلك لم يذكر من كنى ابن آوى شيئًا، وهى:

"أبو ذؤيب". و"أبو كعب". و"أبو معاوية". و"أبو أيوب" و"أبو وائل". والله أعلم.

أما أعلام الكلاب المشهورة التى عنوا بذكرها فكثيرة منها:

سحيم، وطحال، وأكدر، وواشق، وزهمان، وميلع، وبراقش، وجدلاء: كلبات. والمختلس، وغلاب، والقنيص، وسهلب، وسرحان، والمغناطيس، هى خمسة أكلب كانت لرجل اسمه وسهلب، وسرحان، والمغناطيس، هى خمسة أكلب كانت لرجل اسمه ذريح، وآخر اسمه أبو دجانة، يصيدان بها الظباء.

وقرحان: اسم كلب له قصة تحاميت عن ذكرها، حبس سينا عثمان بن عفان بسببها ضائى بن الحارث البرجمى.

وضمران بالضم وبالفتح، وروى بهما فى قول النابغة:

فهاب ضمران منه حين يوزعه طعن المعارك عند المحجر النجد

هو اسم كلب.

وضبار بتشديد الباء الموحدة، الذى قال فيه الحارث بن الخزرج الخفاجى:

سفرت فقلت لها هج فتبرقعت فذكرت حين تبرقعت ضبارا

وتزينت لتروعنى بجمالها فكأنما كسى الحمار خمارًا

فخرجت أعثر فى قوادم جبتى لولا الحياء أجرتها إحضارًا

هو اسم كلب له، وقوله: هج زجر للكلب. وكان لسليمان بن داود الهاشمى كلب صيد يسمى زنبورًا، وفيه يقول أبو نواس:

إذا الشياطين رأت زنبوراً قد قلد الحلقة والسيورا

من أرجوزة يقول فى آخرها:

فأمتع الله به الأميرا ربى ولا زال به مسرورا

ومن طرائفهم ما روه الراغب فى محاضراته لأبى محجن، فى رجل اسمه: وثاب واسم كلبه: عمرو؛ ورواهما فى موضع آخر من هذا الكتاب لابن أبى عتيق، باختلاف فى الرواية:

ولو هيا له الله من التوفيق أسبابا

لسمى نفسه عمراً وسمى الكلب وثابا

قلت: تذكرت بهذين البيتين قصة ظالم لما جاء إلى النبى ﷺ يريد السلام، وكان معه كلب له اسمه: راشد، فسأله عليه السلام عن اسمه واسم كلبه، فلما أخبره ضحك عليه السلام، وقال: اسمك راشد واسم كلبك ظالم. وفى رواية أنه كان يسمى غاوى بن ظالم، فسماه عليه السلام راشد بن عبد الله. وسبب إسلامه أنه كان سادنا لصنم اسمه سواع، فرأى يومًا ثعلبًا يعدوا ببوله، فكسره، وقال فيه:

أرث يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وفى القصة، رواية هذا البيت ونسبته لراشد، اختلاف ليس هذا محل ذكره. وكان لميونة أم المؤمنين رضى الله عنها كلب اسمه مسمار. قال صاحب القاموس: إنه مرض فقالت: وارحمتا لمسمار. وفى كتاب "فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب" لابن المرزبان، أنها رضى الله عنها كانت إذا حجت خرجت به معها؛ فليس يطمع أحد فى القرب من رحلها مع

مسمـار، فإذا رجعت جعلتـه فى بنى جديلة، وأنفقت عليه، فلمـا مات قيل لها: مات مسمار، فبكت وقالت: فجعت بمسمار.

وفى هذا القدر كفاية فقد كدنا نخرج عن المقصود. ولولا خوف الإطالة لذكرت أيضًـا ما ورد من أمثالهم فى الكلب، وهى كـثيرة تربوا على خـمسة وخمسين مثلا: علـى أن ما ذكرناه وإن طال فلا يخلو من فائدة، وفى التنقل جمام للأنفس.

* * *

الرسالة الأغريضية

رسالة أحمل بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى وتسمى الأغريضية[1] كتبها جوابًا عن الرسالة التى كتبها الوزير أبو القاسم هبة الله المغربى. السلام عليك أيتها الحكمة المغربية، والألفاظ العربية، أى هو رقاك، وأى غيث سقاك، برقه كالأحريض، وودقة مثل الأغريض، حللت الربوة. وجللت عن الهبوة، أقول لك ما قال أخو نمير، لفتاة بنى عمير:

(زكالك صالح وخلاك ذم - وصبحك الأيامن والسعود).

لأنا آسف على قربك من الغراب الحجازى على حسن الذى لما أقفرو ركب السفر، فقدم جبال الروم فى نو، أنزل البرس من الجو فالتفت إلى عطفه وقد شمط فحزن وأوسى، وترك النعيب أو نسى. وهبط الأرض فمشى فى قيد، وتمثل ببيت دريد:

صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعد

ثم أراد الإياب، فى ذلك الجلباب، فكره، الشمات، فكمد حتى مات ورب ولى أعرق الأكرام، فوقع فى الإبرام السام لا إبرام السلام، فحرس الله تعالى سيدنا حتى تدغم الطاء فى الهاء فتلك حراسة بغير انتهاء وذلك أن هذين ضدان، وعلى التضاد متباعدان، رخو وشديد، وهاو وذى تصعيد، وهما فى الجهر والهمس، بمنزلة غد وأمس، وجعل الله تعالى رتبته التى

(١) عثرت اللجنة على هذه الرسالة الأغريضية وبخط النسخ وقد أشار إليها المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا فأنبئناها فى هذا المؤلف إتمامًا وبيانًا لعلمه للفائدة المرجوة والغاية المنشودة.

كالفاعل والمبتدا، نظير الفعل فى أنها لا تنخفض أبدا، فقد جعلنى أن حضرت عرف شأنى، وإن غبت لم يجهل مكانى، كيا فى الندا، والمحذوف من الإبتداء، إذا قلت زيد أقبل، والأبل الأبل، بعد ما كنت كها الوقف إن القيت فبواجب، وإن ذكرت فغير لازب، وإلى وإن غدوت فى زمان كثير الدد كهاء العدد لزمت المذكور، فأنت بالمنكر، مع ألف يرانى فى الأصل، كألف الوصل، يذكرنى لغير الثنا، ويطرحنى لغير الاستغنا، وحال كالهمزة تبدل العين، وتجعل بين بين، وتكون تارة حرف لين، وتارة مثل الصامت الرصين، فهى لا تثبت على طريقة ولا تدرك لها صورة فى الحقيقة. ونوايب ألحقت الكبير بالصغير، كأنها ترخيم التصغير، ردت المستحلس إلى حليس وقابوس إلى قبيس، لأمدن صوتى بتلك الآلاء مد الكوفى صوته فى هؤلاء، وأخفف عن حضرة سيدنا الرئيس الحبر تخفيف المدنى ما قدر عليه من النبر، أن كاتبت فلا ملتمس جواب، وأن أسهبت فى الشكر فلا طالب ثواب حسبى مالدى من أياديه، وما غمرنى من فضل السيد الأكبرابيه. أدام الله تعالى لهما القدرة ما دام الضرب الأول من الطويل صحيحًا، المنسرح خفيفًا سريحًا، وقبض الله تعالى يمين عدوهما عن كل معن، قبض العروض من أول وزن، وجمع له المهانة لى التنفيد، كما جمع فى ثانى المديد، وقلم قلم الفسيط، وخبل كسباعى البسيط، وعصب الله تعالى الشر بهامة شانيها وهو مخزو، عصب الوافر الثالث وهو مجزو، بل أضمرته الأرض إضمار ثالث الكامل، وعداه أمل الآمل. وسلم سيدانا أعز الله تعالى نصرهما ومن أحباه وقرباه سلامة متوسط المجموعات، فإنه آمن من المروعات، فقد افتتنت فى نعمهما الرائعة، كافتنان الدابرة الرابعة. وذلك أنها أم ستة الموجودين، وثلاثة مفقودين، وأنا أعد نفسى مراسلة حضرة سيدنا الجليلة عدة ثريا الليل، وثربا

سهيل، هذه القمر، وتلك عمر، وأعظمه في كل وقت، أعظامًا في مقة وبعض الإعظام في مقت، فقد نصب للأدب قبة صار الشام فيها كشامة المعيب، والعراق كعراق الشعيب أحسبت ظلالها من البردين، وأغنت العالم عن الهندين، هند الطيب، وهند النسى ربة الخمار، وأرباب قمار، أخدان التجر وخدينة الهجر، ما حاملة طوق من الليل، وبرد من المرتبع مكفوف الذيل، أوفت الآشاء، فقالت للكئيب ما شاء، تسمعه غير مفهوم، لا بالرمل ولا بالمزموم، كأن سجيعها قريض، ومراسلها الغريض، فقد ماد لشجوها العود، وفقيدها لا يعود، تندب هديلا فات، وأتيح له بعض الآفات، بأشوق في هديلها من عيده إلى مناسمة أبنائه، ولا أوجد على إلفها منه على زيارة فتائه، وليس الأشواق، لذوات الأطواق، ولا عند الساجعة، عبرة متراجعة، إنما رأت الشرطين، قبل البطين، والرشا، بعد العشا فحكت صوت الماء في الخرير، وأتت براد دايمة التكرير، فقال جاهل فقدت حميمًا، وثكلت ولدًا قديما، وهيهات يا باكية أصبحت، فصدحت، وأمسيت فتناسيت، لإهمام لإهمام، ما رأيت أعجب من هاتف الحمام، سلم فناح، وصمت وهو مكسور الجناح، إنما الشوق لمن يذكر في كل حين، ولا يذهله مضى السنين، وسيدنا - أطال الله تعالى بقاءه النظم في الذكاء مثل الزهر مثل الزهر، وفي النقا مثل الجوهر، وتحسب بادرته التاج ارتفع عن الحجاج وغائرة الحجل في الرجل، يجمع بين اللفظ القليل والمعنى الجليل، جمع الأفعوان في لعابه بين القلة، وفقد البلة خشن فحسن ولان، فماهان، لين الشكير، يدل على عتق الحضير، وجرس الدينار، دليل على كرم النجار، فصنوف الأسعار بعده كألف السلام، يلفظ بها في الكلام، ولا تثبت لها هيئة بعد اللام، خلص من سك النقد خلوص الذهب، من اللهب، واللجين من يد القين، كأنه لآل،

فى عنق حوال وسور لطفى عنق قط، ما خانتـه قوة الخاطر الأمين، ولا عيب بسناد ولا تضمين، وأين النثرة، من الثغـرة والغرقد، فالساعى فى أثره ثالث عصى بـصير، لا ثالث عـصاقـير، وأنا ثابت على هـذه الطوية ثبات حـركة البناء، مقيم تلك الشهادة بغير استثناء، غنى عن الأيمان فلا عدم: مقيم على ما قلت فلا حنث ولا ندم، وإنما تخبؤ الدرة، بالحسناء الحرة، ويجاد باليمن، فى العلق الثمين، ما أنفسه خاطراً امترى الفضة فى القضة، والرصاه من مثل الحصاه، وربما نزعت الأشباه، ولم يشـبه المرء أباه، ولا غرو لذلك الخضرة أم اللهيب، والحمرة بنت الغريب، وكذلك سيدنا ولد من سحر المتقدمين حكمة للحنفاء المتـدينين، كم له من قافيـة تبنى السود، وتثنى الحسـود، كالميت من شرب العاتقة الكميت ونشوره قريب، وحسابه تثريب أين مشبه الناقة بالفدن، والصـحصح بـردا الدرن، وجب الرحيل، عـن الربع المحيل، نـشا بعـدهم واصف، عود زواله كـالمناصف، إذا سمع الخافض صـفته للسهب الفـسيح، والرهب الطليح، ودان حـشيـته بين الأحـياء وخلوقـه عصـيم الهناء وحكم بالقـود، وصاغ برى ذوات الأرسـان، من برى البـيض الحـسان، شنفًـا لدر النحور؛ وعـيون الحور، وشـغفًا بدر بكى وعـين مثل الركى. وأعـراضًا عن بدور، سكن فى الخدور، إلى حول، كاهله المحول، فهمن أشباه القسى ونعام السبى وإن أخذ فى نعت الخيل فياخيبة من شبه الأوابد بالتقييد، وشبه الحفافر بقعب الوليد، نعتا غبط به الهـجين المنسوب، والباذل اليعسوب، إذ رزق من الخيـر، ما ليس لكثـير من سـباع الطيـر وذلك أنه مع الصغر، سـمى بعض الغرر، وقـد مضى حـرس، وخفت جرس، وللقـابع أبغض طالع، وللأرزق يجنبك عنه الفرق، فالآن سلمـت الجبهة من المعض، وشمل بعضـها بركات بعض، فـأبقن النطيح أنه لا يطيح، والمهـقوع، نجارا كـبه من الوقـوع، فلن

يخـرب، فائد المحـرب، ولن يرحل، سـائس الأزجل، والعـاب، وإن حلق الكعاب، ناكب عن نـاقلات المراكب، وقالت خـيفانة أمـرئ القيس، الدباءة لراعى المبـاءة، الأسفيـة، للقدر الكيـفية نقـمًا على عـاجل غدرها، كـقرون العروس، وجبهتها كمخدف التروس، وأنى للكندى، قواف كهجمة السعدى:

إذا اصطكت بضيق حجرتاها تلاقى العسجدية والظليم

والقسيب فى تضـاعيف النسيب، والشباب، فى ذلك التـشبيب، ليس روية بمقلوب، ولكنه من أدواء القلوب، قـد جمع أليل ماء الـصبى، وصليل ظلماء الظبى، فالمصراع كـوذيلة الغربية، حكت الزينة، وأرت الحسناء سناها، والسمجة ما عناها، فأما الراح فلو ذكرها لشفت من الهرم، وانتقت من الكرم إلى الكرم ولم ترض دنان العقار، لباس القار، ونسيج العناكب، على المناكب ولكن تكسى من وشيى ثيـابًا، ويجعل طلاؤهما وزريابا، ولقـد سمعتـه ذكر خيمـة يغبط المسك جارها من السـيام، ويود سعد الأخـبية أنه سعـد الخيام، ووقفت على مختصر إصلاح المنطق الذى كاد سيمات الأبواب تغنى عن سائر الكتاب، فعجبت كل العجب من تقيـيد الإجمال بالأحمال، بطىء الأحمال، وقلب البحر، إلى قلت النحر، وإجراء الفـرات، فى مثل الأخرات، شرفًا له تصنيفًا شـفى الريب، وكفى من ابن قريب، ودل على جوامـع اللغة بالإيماء كما دل المضمـر على ما طال من الأسماء، أقول فى الأخبـار، أمرت أبا عبد الجبار، فإذا أضمرته، عرف منى قلت أمرته، وأبل من المرض والتمريض، بما أسقـط من شهـود القريض، كـأنهم فى تلك الحال، وعـرفوا بالمحـال، عند قاض، عرف أمانتـهم بالانتقاض، على حق علمه بالعيان، فاسـتغنى فيه عن كل بيان.

وقد تأملت شواهد إصلاح المنطق فوجدتها عشرة أنواع، فى عترة أخوة الصديق، لما تظاهروا على غير حقيق، وتزيد على العشرة بواحد، كأخ ليوسف لم يكن بالشاهد، والشعر الأول وإن كان سبب الأثرة، وصحيفة المائدة، فإنه لذوب القاله نمون الإطالة، وإن قفانبك على حسنها، وقدم سنها، لتقر بما يبطل شهادة العدل الرضى، فكيف بالبغى، الأنثى قاتلها الله عجوزًا لو كانت بشرية كانت من أغوى البرى، وقد تمادى بأبى يوسف رحمه الله تعالى الاجتهاد فى إقامة الأشهاد حتى أنشد رجز الضب، وإن معداً من ذلك لجد مغضب أعلى فصاحته يستعان بالقرض، ويستشهد بأجناس الأرض، ما رؤبة عنده فى نفير فما قولك فى ضب دانى الأظافير، ومن نظر فى كتاب يعقوب وجده كالمهمل، إلا باب فعل وفعل، فإنه مؤلف على عشرين حرفًا ستة مذلقة، وثلاثة مطبقة وأربعة من الحروف الشديدة، وواحد من المزيدة، ونفشين التاء والذال، وآخر متعال، والأختين العين والحاء، والشين مضافة إلى حيز الراء، فرحم الله أبا يسوف لو عاش لفاظ كمدا، أو أحفاظ غضبًا حسداً سبق ابن السكيت، ثم صاره السكيت، وسمق ثم جاء وتدا للبيت، كان الكتاب تبراً فى تراب معدن. بين الحث وبين المتدن، فاستخرجه سيدنا واستوشاه، وصقله فكره ووشاه، فغبطهما النيراث على الترقيش، والآل النقيش، فهو محبوب ليس بهين، على أنه ذو وجهين، ما تم قط ولا هم، ولا نطق ولا أرم، قد ناب فى كلام العرب الصميم، مناب مرآة النمجم فى عالم التنجيم، شخصها ضئيل معلموم، وفيها القمران والنجوم، وأقول بعد فى اللفظ إن حكم التأليف فى ذكر الكلمة مرتين، كالجمع فى النكاح بين أختين، الأولى حل يرام، والثانية بسل حرام، كيف يكون فى الهودج لميسان، وفى السية خميسان يا أم الفتيات حسبك من الهنود، ويا أبا الفتيان شرعك

من السعود، عليك أنت بزينب ودعد، وسم أيهـا الرجل بسوى سعد، ما قل أثير، والأسماء كثير، مثل يعقوب مثل خود كثيرة الحلى ضاعفته على التراق، وعطلت الخصـر والساق، كـان يوم قدوم تلك النسخـة يوم ضريب، حـشر الوحش من الإنس، وأضاف الجنس إلى غيـر الجنس ولم يحكم على الظباء، بالسـباء، ولا رمى الرجـال، بالأوجـال، ولكن الأضداد تجـتـمع، فتـتمـتع وتنصرف بالذات، مـن غير أدات وأن عـبده موسى لقـينى نقابًا، فـقال هلم كتـابًا، يكون لك شرفًا، وبموالاتك فى حضـرة سيدنا مـعترفًا، فـتلوت عليه هاتين الآيتـين، (إن لك ألا تجوع فيـها ولا تعرى، وإنك لا تـظمأ فيـها ولا تضحى).

وأحسبه رأى نور السـؤدد فقال لمخلفيه، ما قـال موسى صلى الله عليه لأهليه (إنى آنست نارًا لعلى آتيكم منهـا بقبس أو أجد على النار هدى) فليت شعرى ما يطلب أقبس ذهب، أم قـبس لهب، بل يتشرف بالأخلاق الباهرة، ويتبرك بالأحساب الطاهرة.

(بانت حواطب ليلى يقتبس بها جزل الجذاغير خوار ولا ذعر).

وقد آب من سفـرته الأولى، ومعه جذوة من نار قـديمة إن لمست فنار إبراهيم، وإن أونست فنار الكليم، واشـترى بهـارًا حيث به المرازبة كـسرى، وحمل فى فكاك الأسـرى، وأدرك نوحًا مع القـوم، وبقى غضبًـا إلى اليوم، وما انتجمع موسى إلا الروض العـميم، ولا اتبع إلا أصدق مغى، ورد عبده الزهرى من حضـرته المطهرة كأنـه زهرة نقيع، أو وردة ربيع، كثـيرة الورق، طيبة العرق، وليس هو فى نعمتـه كالريم، فى ظلال الصريم، والحباب، فى السحاب المنجـاب، لأن الظلام يسفر، والغمام ينسـفر، ولكنه مثل النون فى

اللجه، والأعـقر تحت جربه، وقد كنت عـرفت سيداً فيـما ساف، أن الأدب كعـهود، فى إثر عهـود، أروت النجاد، فمـا ظنك بالوهود، وفى نزلت من ذلك الغيب ببلد طـسم، كأثر الوسم، منعه القـراع، من الأمر داع، يا بوس بنى سدوس، العدو حازب، والكلأ عازب، يـا خصب بنى عبد المدان، ضان فى الحريث وضان فى السعدان، فلما رأيت ذلك أتعبت الأظل، فلم أجد إلا الحنظل، فليس فى اللبيد إلا الهبيد، جنيته من شجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، لئن الإبل عن المـرار مر، وعن الأراك طيب حر، وهذا مثلى فى الأدب، فأما فى النسب، فلم تزل تحـمد الله تعالى بقاء سيد بلغـتان بلغة صبر وبلغة وفر، أنا منهما بين اللبة المرعية واللقحة الربعية، هذه عام، وتلك مال وطعام، والقليل، سلم إلى الجليل، كالمصلى بـريغ الضو بإشباع الوضو، والتكفير بأدامـة التعفيـر، وقاصد بيت الله يغسل الحـوب، بطول الشحوب. وأنا فى مكاتبة حضرة سيدنا الجيلة، والميل عن حضرة سيدنا الأجل والده اعز الله تعالى نـصره كسـبأ بن يغرب، لما ابتـهل فى التقـرب، إلى خالق النور، ومصـرف الأمور، نظر فلم يجد أشرف من الـشمس فسجـد لها تعبداً وغـير ملوم سيدنا لو أعرض عن شـقايق النعمان الربعية، ومدايحـه اليربوعية، مللا من أهل البلد المضـاف إلى هذا الاسم فغيـر متعـذر، من أبغض لأجلهم بنى المنذر، وهم إلى حضـرته السنية رجلان، سـايل، وقايل، أما السـايل فألح، وأما القابل فغيـر مستلح، وقد سترت نفسى عنها ستـر الخميص، بالقميص، وأخى الهتر بسجوف الستر، فظهـر بى فضله الذى مثله كمثل الصبح إذا لمع، تصرف الحيـوان فى شئونه وسكع، فخرج من بيـته اليروبوع، وبرز الملك من أجل الربوع، وقد يولع الهجرس، بأن يجرس، فى البلد الجرد، قدام الأسد، وإنى خبـرت أن تلك الرسالة الأولـى عرضت على المواطن الأكـرم، فأجب

ذلك رحيل أختها، متعرضة لمثل بختها، وكيف لا تنقع، وفى اليوم تقع، وهى بمقصد سيدنا فاخرة ولو نهيت الأولى لانتهت الآخرة.

تمت الرسالة الإغريقية، لأبى العلاء المعرى تمت بحمد الله وعونه.

وجد فى تأليف أبى العلاء المعرى ما صورته:

أصلحك الله وأبقاك لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم إلى منزلنا الخالى لكى نحدث عهداً بك يا زين الأخلاء فما مثلك من غير عهداً أو غفل.

وهذه الكلمات تشتمل على أربعة أبيات من بحر الرجز على روى اللام على صورة يسوغ استعمالها عن العروضين وهى:

أصلحك الله وأبقاك لقد كان من الـ

واجب أن تأتينا اليوم إلى منزلنا الـ

خالى لكى نحدث عهداً بك يا زين الـ

أخلاء فما مثلك من غير عهداً أو غفل

* * *

فصل فى ثروته وزهده

قد علمت مما تقدم أن أبا العلاء كان من بيت ثراء وغنى والمتبادر فى مثله أن يكون مثريا كأهله، ولكنك لو تتبعت بقية أخباره، وأنعمت النظر فى أقواله عن نفسه، سواء أكانت نثرًا أو شعرًا، ظهر لك أنه كان على العكس من ذلك. وحسبك تصريحه فى إحدى رسائله إلى داعى الدعاة بأن الذى له فى السنة نيف وعشرون دينارًا يشاركه خادمه فى معظمها. وسيمر بك فى هذا الفصل شىء من أشعاره المنبئة عن إملاقه وحاجته. والحقيقة المزيلة للبس أنه كان على شىء من الثروة نكب فيه قبل قفوله من بغداد، فعاش بعد ذلك فى كفاف، بدليل قوله:

أثارنى عنكم أمـــران والدة ... لم ألقها وثراء عاد مسفوتًا[1]

أحياهما الله عصر البين ثم قضى ... قبل الإياب إلى الذخرين أن موتا

يعنى: أحيا الله والدتى ومالى وأنا بعيد عنهما، فلما أزمعت الإياب قضى على الوالدة بالموت، وعلى المال بالضياع.

على أنه كان على فقره قنوعًا عيوفًا كبير النفس، يضرب فى علو الهمة بسهم وافر، لم يسمع أنه استماح أحدًا. أو مدح طمعًا فى نوال، ومن قوله فى خطبته سقط الزند: "ولم أطرق مسامع الرؤساء، بالتشيد، ولا مدحت طلبًا للثواب، وإنما كان ذلك على معنى الرياضة، وامتحان السوس[2]،

---

(١) المسفوت: قليل البركة.

(٢) السوس: بالضم الطبيعة.

فالحمد لله الذى ستر بغفة[1] من قوام العيس. ورزق شعبة من القناعة أوفت على جزيل الوفر. ومن غرر أقواله فى ذلك:

وإنى تيممت العراق لعير ما ... تيممه غيلان عند بلال

فأصبحت محسوداً بفضلى وحده ... على بعد أنصارى وقلة مالى

غيلان هو ذو الرمة، كان قصد بلال بن بردة بن أبى موسى الأشعرى مستميحًا، وفيه يقول:

سمعت الناس ينتجعون غيثًا ... فقلت لصيدح أنتجعى بلالا

وصيدح اسم ناقته، والرواية فى الناس بالرفع على الحكاية، لأنه سمع من يقول: الناس ينتجعون غيثًا، فحكى ما سمع، جزم بذلك المبرد، وعد الحريرى النصب من الأوهام، وذهب غيرهما إلى أنه يجوز.

وقال أبو العلاء يصف حاله ببغداد:

تمنيت أن الخمر حلت لتشوة ... تجهلنى كيف اطمأنت بى الحال

فأذهل أنى بالعراق على شفى ... رزى الأمانى لا أنيس ولا مال

مقل من الأهلين يسر وأسرة ... كفى حزنًا بين مشت وإقلال

وكم ما جد فى سيف دجلة لم أشم ... له بارقًا والمرء كالمزن هطال

من الغر تراك الهواجر معرض ... عن الجهل قذاف الجواهر مفضال

سيطلبنى رزقى الذى لو طلبته ... لما زاد، والدنيا حظوظ وإقبال

وقال أيضًا:

---

(١) الغفة، بالضم: البلغة من العيش.

رحلت لـم آت قـرواشًـا أزاوله ولا المهـذب أبغى النيـل تقـويتـا

والموت أحـسن بالنفس التى ألفت عـز القناعـة عـن أن تسـأل القـوتا

قرواش كان واليًا ببغـداد، والمهذب وزيره. وروى أن المستنصر الفاطمى خليفة مصـر بذل له ما فى بيت مال المعرة من الحلال، فلم يقـبل منه شيئًا، وقال:

لا أطـلـب الأرزاق والمـولى يـفـــــيض عـلـى رزقـى

إن أعط بـعض القـــوت أعلم أن ذلـك فـــوق حـــقى

ويعجبنى قوله فى لزوم ما لا يلزم:

وكـــأنما الدنيـــا كـــعـــاب أينا رجى لـهـــا صـلة فـــذاك يســـار

وإذا الفـــتى لحظ الـزمـــان بعـــينه هان الشـــقـاء عليـه والإعـسـار

وقوله:

نوائب ألقت فى النفـوس جرائحـا عـصى كل آس فى البـرية سـبـرها

لى القوت فليغمـر سرنديب حظها من الدر أو يـكثـر بفـــانه تبـــرها

سرنديب جزيرة قرب الهند، فيها مـغاوص للؤلؤ، وتسمى اليوم سيلان وغانة مـدينة كبيـرة فى جنوبى بلاد المغرب، هى مـدخل بلاد التبر كـما فى ياقوت وتـطلق اليوم على أرض واسـعة فى غربـى قارة إفريقـية، تقـاسمـها الإفرنج بينهم، واسمها فى لغتهم (Guinee) جينا بالأمالة، أو: غينا، والأصل فيه غـانة، كما قدمنا، والرجوع إليـه أولى. ويطلق الإفرنج هذا الاسم أيضًا على أول دينار إنجليزى ضـرب من الذهب المستخرج من هذه الجـهة، وأبطل

الإنجليز التعامل به من سنة ١٨١٧ ميلاديـة، واستعاضوا عنه بدنار هم المسمى Souverain سوفران، ومن هذه تعرف سبب تسمية المصريين كل دينار بالجنية،

وكان الصواب أن يسموه بالغانى: إن أرادوا النسبة إلى تلك الجهة، وإلا فالرجوع إلى الدينار أولى.

وكان شـأن أبى العلاء فى الزهد والتـقشف والإعراض عن الدنيـا شأنًا عجبًا، ولا يذهبن بك الظن فتتوهم أن للفقر مدحلا فى زهده، فإن من تبذل له الخزائن، وتعـرض عليه الصـلات، لا تستعـصى عليه غـاية من الغايات، ولكنه نظر إلى هذا المتاع الزائل نظر من لم يلهه زخرفة عن اسـتطلاع حقيقته فصد عنه وزهد فيه جملة، وأخذ نفـسه بالرياضة الوخشونة، والإعراض عن العرض الفانى، فكان لباسه القطن، وفراشـه اللبد، وحصيره برديه، وطعامه الفول والعدس، وحلاوته التين، وفيه يقول:

يقـنعـنى بـلسـن يمـــارس لـى ... فـــإن أتـتنى حـــلاوة فلـبس[1]

فلس مـــا اخـتـــرت إن أروح من ... يسـر قـــارون عـــفـــة وفلس[2]

وسنورد مختار شعـره فى الزهد، متى وصلنا إلى الكلام على منظومه، كمـا أننا سنشبع القـول فى سبب تجافـيه عن أكل الحيـوان، عند الكلام على معتقده.

وكان رحـمه الله، على عـوزه ورقة حـاله، بذولا لما عنده، غيـر مانع معروفًا عن مستحق، يتكلف فى ذلـك ما استطاع، بلغه مرة أن شاعراً يلقب

---

(١) البلسن بالضم: العدس، والبلس بالتحريك: التين.

(٢) اللس: الأكل.

بصريع البين ساءت به الحال، فأنفذ إليه قدراً من الدراهم، وأتبعها بقصيدة يقول فيها:

قد استحييت منك فلا تكلنى ... إلى شيء سوى عذر جميل

وقد أنفذت ما حقى عليه ... قبيح الهجو أو شتم الرسول

وذاك، على انفرادك، قوت يوم ... إذا أنفقت إنفاق البخيل

فكيف وأنت علوى السجايا ... فليس إلى اقتصادك من سبيل

إلى أن يقول:

فإن يك ما بعثت به قليلا ... فلى حال أقل من القليل

وحدث للقاضى أبى محمد عبد الوهاب بن على بن نصر الفقيه المالكى المشهور ضيق وشدة، وهو ببغداد، فلم ير بدا من الرحيل عنها، وخرج لتشييعه يوم فصل جمع من أكابرها، وطوائف كثيرة من أهلها، وما فيهم إلا متوجع لفراقه، أو آسف على فوات الاستفادة من علمه، فقال لهم عند الوداع: لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين كل غداة وعشية ما عدلت عن بلدكم. فلم تحرك مقالته واحداً منهم، يتكفل له بما طلب؛ فسار عنهم قاصداً مصر، واجتاز بمعرة النعمان، وبها يومئذٍ أبو العلاء، فأضافه واحتفى به، وفيه يقول:

والمالكى ابن نصر زار فى سفر ... بلادنا فحمدنا النأى والسفرا

إذا تفقه أحيا مالكًا جدلا ... وينشر الملك الضليل إن شعرا[1]

(١) الملك الضليل: امرؤ القيس.

ثم حياه عند رحيله بثلاثين درهمًا، وخاطبه معتذرًا بقوله:

أيبسط عذرى منعم أم يخصنى ... بما هو حظى من أليم عتاب

قبول الهدايا سنة مستحبة ... إذا هى لم تسلك طريق تحاب

فيا ليتنى أهديت خمسين حجة ... مضت لى فيها صحتى وشبابى

وقلت له فاترك ثلاثين أسودًا ... متى ما تكشف تلف غير لباب

إذا سكت المحتج كل مناظر ... فعند ابن نصر نجدة بجواب

وما أنا إلا قطرة من سحابة ... ولو أننى صنفت ألف كتاب

وبين يديه كفر طاب وإنها ... تعيش لفقد الماء عيش ضباب

لعل الذى أنفذت يكفيه ليلة ... لإسباغ طهر حان أو لشراب

يقول: لعل هذه الدراهم القليلة، وإن كانت سوداء غير خالصة الفضة، تكفى الشيخ لأن يشترى بها قليلا من الماء لطهره أو لشرابه؛ فإنه معرج على كفر طاب، وهى قليلة الماء، وأهلها يعيشون بها عيش الضباب، وإنما خص الضباب بالذكر؛ لأنها تصبر على العطش، وبعض المحققين من أهل عصرنا يرى أن كفر طاب هى البلدة المسماة الآن بإدلب، وهى قصبة قضاء باسمها، من لواء حلب. ولم تزل قليلة الماء. وفيها يقول أبو العلاء فى لزومياته:

أرى كفر طاب أعجز الماء حفرها ... وبالس أغناها الفرات عن الحفر[1]

كذلك مجرى الرزق، واد بلا ندى ... وواد به فيض وآخر ذو جفر

ولما وصل القاضى عبد الوهاب المذكور إلى مصر، أقبلت عليه الدنيا،

(١) بالس - كصاحب: بلدة بشط الفرات.

وانهالت عليه صلات الأمراء، ولكنه لم يتمتع بشيء منها، بل مات عقب وصوله من أكلة اشتهاها، وسمعوه يقول وهو يتقلب ويتململ: لا إله إلا الله، إذا عشنا متنا. وهو القائل فى بغداد:

بغداد دار لأهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق

ظللت حيران أمشى فى أزقتها ... كأنى مصحف فى بيت زنديق

* * *

رجع إلى أبى العلاء

وعلى الجملة فلا يـختلف اثنان فى علمه وفضله، ووقـوفه على دقائق العربية، ولا عبرة بمن لحنه فى قوله:

يذيب الرعب منه كل غضب فلولا الغمد يمسكه لسالا

بأن مذهب الجمهور وجوب حذف الخبر بعدلولا، بناء على أنه لا يكون إلا كونًا مطلقًـا، فإذا أريد الكون المقـيد جعل مـبتدأن فكان عليـه أن يقول: فلولا إمساك الغمد إياه لسال، أى موجود، وأما التركيب الذى أتى به فتركيب فاسد. انتهى.

قلت: وهذا المخطى هوالمخطى لاحتمـال تقدير يمسكه جملة معـترضة بين المبتـدأ والجواب والخبـر محذوف، أوتقـدير يمكسه بدل اشتـمال على أن الأصل أن يمسكه، ثم حذفت أن وارتفع الفعل، وعلى هذا فـالخبر محذوف أيضًا: والمعنى: فلولا الغمـد إمساكه موجود لسال، انتـهى ملخصًا من المعنى وحـواشيـه. هذا إذا خـرجنا البـيت على مـذهب الجمـهـور الذى تمسك به المعتـرض، والمذهب الحق ما ذهـب إليه ابن مالـك والرومانى وابن الشـجرى والشلوبين؛ لأن الخبر إذا كان كونًا مقيدًا، ولم يدل عليه دليل، وجب ذكره، وإن دل عليه دليل جـاز إثباته وحذفه. وعليـه فلا وجه للتخطئـة فى البيت، فضلا عن ورود مثله فى الكلام الموثوق به.

وأما ذكاؤه وسرعة فهمه وقوة حافظتـه؛ فقد رووا فيها غرائب، منها ما ينبو العقل عن تصديقه. وقد صـرح صاحب معاهد التنصيص بأن للناس فى

ذلك حكايات مشهورة يضعونها، وغالبها مستحيل. إلا أن اشتراط استيفاء أخباره يقضى بذكر ما وقفنا عليه منها، وعلى القارئ تمييز الغث من السمين.

فمن ذلك: ما نقل عن تلميذه التبريزى أنه كان قاعدًا بين يديه فى مسجد بمعرة النعمان يقرأ عليه شيئًا من تصانيفه. قال: وكنت أقمت عدة سنين لم أر أحدًا من أهل بلدى، فدخل المسجد بعض جيراننا للصلاة، فرأيته وعرفته، فتغيرت من الفرح، فقال لى أبو العلاء: أى شىء أصابك؟ فأخبرته خبر الرجل، فقال: قم وكلمه، فقلت: حتى أتمم النسق، فقال: قم وأنا أنتظرك، فقمت وكلمته بلسان الأذربية شيئًا كثيرًا، إلى أن سألت عن كل ما بدا لى. فلما رجعت إليه قال لى: أى لسان هذا؟ قلت: هذا لسان أهل أذربيجان. فقال لى: ما عرفت اللسان ولا فهمته، غير أنى جفظت ما قلتما، ثم أعاد على اللفظ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد، فتعجبت غاية العجب، كيف يحفظ ما لم يفهمه.

ومنه: ما رواه بعض طلبته، أن جارًا له أعجميًا غاب عن المعرة، وحضر رجل من بلده يبحث عنه، فوجده غائبًا، ولم يكنه المقام، فأشار عليه أبو العلاء أن يذكر حاجته، فجعل الرجل يتكلم بالفارسية وأبو العلاء مصغ إليه، ولم يكن يعرفها، إلى أن فرغ من كلامه، ومضى الرجل. وقدم جاره الغائب، فجعل أبو العلاء يردد عليه ما سمعه بلفظه، والرجل يبكى ويستغيث ويلطم، إلى أن فرغ من الحديث. وسئل عن حاله، فأخبر أنه أخبر بموت أبيه وإخوته وجماعة من أهله.

وهذه الحكاية حكاها الوطواط فى "الغرر والغُرر" على غير هذا الوجه قال: ومن عجيب حكاياته أن أبا زكريا التبريزى كان يقرأ عليه فأتاه رسول من

عند أهله من تبريز، فجاء حلقة أبى العلاء، فسأل عنه، فأخبر أنه غائب فى بعض شأنه. فقال له أبو العلاء: ما تريد به؟ قال: جئت برسالة من عند أهله. فقال: هاتها حتى نوصلها إليه، قال: إنها مشافهة، قال: فاسمعناها حتى توصلها إليه. قال: إنها بالفارسية. قال: لا عليك أن تسمعناها ولا تسقط منها حرفًا. فأوردها عليه. فلما جاء التبريزى أخبر أن رجلا جاء من تبريز ومعه رسالة من أهله، فقال: ليتكم أخذتموها منه، فإنى مشوق لما يرد من أخبارهم. فقيل له: إنه قال إنها مشافهة. فتأسف لذلك. فلما رأى أبو العلاء تأسفه، قال له: لا عليك إن سمعتها منه وحفظتها. ثم أملاها عليه. فجعل التبريزى يضحك مرة، ويبكى مرة، فسأله أبو العلاء عن ضحكه وبكائه، فقال: تارة تخبرنى بما يسرنى فأضحك، وتارة تخبرنى بما يحزننى فأبكى. انتهى.

ومنه: ما حكاه الأمير أسامة منقذ، قال: كان بأنطاكية خزانة كتب، وكان الخازن بها رجلا علويا، فجلست يومًا عنده، فقال لى: قد خبأت لك خبيئه لم تسمع بمثلها فى تاريخ. فقتل: وما هى؟ قال: صبى دون البلوغ ضرير يتردد إلى، وقد حفظته فى أيام قلائل عدة كتب، وذلك أنى أقرأ عليه الكراسة والكراستين مرة واحدة، فلا يستعيد إلا ما شك فيه، ثم يتلو على ما سمعه. قلت: فلعله يكون محفوظًا له! فقال: سبحان الله! كل كتاب فى الدنيا يكون محفوظًا له؛ ولئن كان كذلك فهو أعظم. ثم حضر المشار إليه، وهو صبى دميم الخلقة، مجدر الوجه، على عينيه بياض من أثر الجدرى، كأنه ينظر بإحدى عينيه، وهو يتوقد ذكاء؛ يقوده رجل طويل أحسبه من أقاربه. فقال له الخازن: يا ولدى، هذا السيد رجل كبير القدر، وقد وصفتك

له، وهو يحب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك، فقال: سمعًا وطاعة، فليختر ما يريد. قال ابن منقذ: فاخترت شيئًا وقرأته عليه وهو يموج ويستزيد، فإذا مر بشيء يحتاج إلى تقريره فى خاطره، يقول: أعد هذا، فأعيده عليه، حتى أتيت على ما يزيد على كراسة، ثم قلت: يقنع هذا من قبل نفسى. قال: أجل حرسك الله. وتلا على ما أمليته عليه، وأنا أعارضه بالكتاب حرفًا حرفًا، فكاد يذهب لما رأيت منه، وعلمت أن ليس فى العالم من يقدر على ذلك إلا إن شاء الله. وسألت عنه، فقيل لى: هذا أبو العلاء المعرى من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى. هكذا يروون هذه الحكاية، والأمير أسامة المذكور ولد سنة ٤٨٨ أى بعد موت أبى العلاء بنحو تسع وثلاثين سنة، فالقصة على هذا موضوعة، اللهم إلا أن تكون وقعت مع بعض أمراء بنى منقذ، ممن تقدم أسامة.

ومنه أن سمانا حاسب عميلا له برقاع كان يثبت فيها ما يأخذه منه عند حاجته، وكان أبو العلاء فى غرفة يسمع محاسبتهما، وبعد مدة ضاعت الرقاع من السمان، فأخذ يتململ ويتأذى. وبلغ أبا العلاء خبره، فقال له: ما عليك من بأس، أنا أملى عليك حسابه. وجعل يمليه عليه على ما فى الرقاع رقعة رقعة، والسمان يكتبها. ثم وجد بعد ذلك رقاعه؛ فإذا هى مطابقة لما أملاه أبو العلاء. وهذا إن صح، فهو غاية الغايات فى قوة الحفظ والتعليق.

وقريب مما تقدم، ما روى عن أبى تمام حين سمع البحترى ينشد قصيدته التى أولها:

أأفاق صب من هوى فأفيقا أم خان عهدًا أم أطاع شفيقًا

فلما فرغ من إنشادها، أقبل عليه باللوم والتقريع، واتهمه بسرقة شعره،

ثم اندفع يعيد القصيدة حتى أتى على أكثرها. والقصة مشهورة. ومثله ما روى عن المتنبى فى حفظه كتابًا عرض عليه للبيع فى نحو ثلاثين ورقة. وروى مثله الإمام أبو العباس المتبرد، وهو الثقة فيما ينقل، فذكر فى كامله أن ابن عباس رضى الله عنه لما أنشده عمر بن أبى ربيعة قصيدته: (أمن آل نعم أنت غاد فمبكر)، ولم يكن سمعها من قبل، استظهرها من مرة واحدة، وأعادها على الحضور. إلا أن ما نقل عن المعرى يفوق كل ذلك.

وذكروا أن أبا نصر أحمد بن يوسف المنازى، دخل على أبى العلاء وهو بالشام فى جماعة من أهل الأدب، وأنشده قوله:

وقانا لفحة الرمضاء واد ... سقاه مضاعف الغيث العميم

نزلنا دوحة[1] فحنا علينا ... حنو المرضعات[2] على الفطيم

وأرشفنا[3] على ظمأ زلالا ... ألذ من المدامة للنديم

بصد الشمس أنى واجهتنا ... فيحجبها ويأذن للنسيم

تروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

فقال أبو العلاء: أنت أشعر من بالشام. ثم رحل أبو العلاء إلى بغداد، فدخل عليه المنازى فى جماعة من أدبائها، وهو لا يعرف منهم أحدًا، فأنشدوه من أشعارهم، وأنشده المنازى:

---

(١) ويروى: تظل غصونه تحنو علينا.

(٢) ويروى: الوالدات.

(٣) ويروى: وأسقانا.

لقد عرض الحمام لنا بسجع ... إذا أصغى له ركب تلاحى

شجى قلب الخلى فقيل: غنى ... وبرح بالشجى فقيل: ناحا

وكم للشوق فى أحشاء صب ... إذا اندملت أجد لها جراحا

ضعيف الصبر عنك وإن تقاوى ... وسكران الفؤاد وإن تصاحا

كذاك بنو الهوى سكرى صحاة ... كأحداق المها مرضى صحاحا

فقال أبو العلاء: ومن بالعراق! عطفًا على قوله: من بالشام. والراجح عندى أن هذه القصة موضوعة، لا لغرابتها، فإن تقدم فى قصته مع السمان وغيره ما هو أغرب وأعجب، ولا يبعد على من يستظهر أوراق الحساب رقعة رقعة، أن يسمع صوت المنازى ونغمته فى إنشاده، فيعيه ويعرفه بعد ذلك من كلامه؛ بل لأن الثابت فى الأبيات المهيمية أنها لحمدونة[1] بنت زياد الأندلسية، أثبت لك مؤرخو الأندلس، وجزم به أبو جعفر الرعينى الأندلسى، وهو من الراحلين إلى المشرق. وملخص ما قاله فى شرحه على بديعية صاحبه ابن جابر: أن بعض المشارقة غرهم بعد ديارها، وخلو بلادهم من آثراها، فانتحلوا أشياء من شعرها. ومن ذلك نسبتهم أبياتها المهيمنة للمنازى من شعرائهم. قال: وقد رأيت بعض المؤرخين من أهل بلادنا أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازى من العدم إلى الوجود، ويتصف بلفظة الموجود. انتهى. أما الأبيات الحائية فالراجح أنها للمنازى، ونسبها الصفدى فى شرحه على لأمية العجم لابن قاضى ميلة. والله أعلم.

وقال كمال الدين بن العديم فى تاريخ حلب: بلغنى أن المنازى عمل

(١) ورد اسمها فى بعض التواريخ: حمده، وفى بعضها: حميدة، وفى بعضها: حمدولة.

هذه الأبيات ليعرضها على أبى العلاء، فلما وصل إليه أنشده إياها، فجعل كلما أنشده المصراع الأول من كل بيت، سبقه أبو العلاء إلى المصراع الثانى الذى هو تمام البيت كما نظمه. ولما أنشده: (نزلنا دوحة فحنا علينا) قال أبو العلاء: (حنو الوالدات على الفطيم) فقال المنازى: إنما قلت على اليتيم فقال أبو العلاء: الفطيم أحسن. انتهى والله أعلم.

قلت: الشيء بالشيء يذكر، والحديث ذو شجون. والذى ذكره ابن العديم له نظائر. منها ماروا ه ط بفور فى تاريخ بغداد عن عمارة بن عقيل. قال: أنشدت المأمون قصيدة فيها مدح له تبلغ مائة بيت، فابتدأت بصدر البيت فبادرنى إلى قافيته، فقلت: والله يا أمير المؤمنين ما سمعها منى أحد قط. قال: هكذا ينبغى أن يكون، ثم أقبل علي، فقال: أما بلغك أن عمر بن أبى ربيعة أنشد عبد الله بن عباس قصيدته التى يقول فيها:

تشط غداً دار جيراننا

فقال ابن عباس:

وللدار بعد غدٍ أبعد

ثم قال المأمون: أنا ابن ذاك. وفى "تحرير التحبير" لابن أبى الإصبع أن ابن عباس لما كمل البيت، قال له ابن أبى ربيعة: هكذا والله قلت. فقال عبد الله: وهكذا يكون.

وروى أن جريراً والفرزدق، حضرا الوليد بن عبد الملك، وعدى بن الرقاع ينشد قصيدته:

عرف الديار توهمًا فاعتادها من بعد ما درس البلى أبلادها

فلما انتهى إلى قوله: **تزجى أغن كأن إبرة روقه**

تشاغل الوليد عن الاستماع، وقطع سدى الإنشاد، فقال الفرزدق لجرير: ما تراه يقول؟ فقال: أراه يستلب بها مثلا، فقال الفرزدق: يا لكع! إنه سيقول: قلم أصاب من الدواة مدادها. ثم عاد الوليد إلى الاستماع، وعاد عدى إلى الإنشاد، فنطق بالعجز كما قال. فقال جرير للفرزدق: ويحك! فكأن سمعك مخبوء تحت لسانه، فقال له: اسكت، شغلنى سبك عن جيد الكلام، والله لما سمعت صدر بيته حمته، فلما أنشد عجزه انقلبت الرحمة حسداً. وفى رواية العقد الفريد عن الأصمعى أن جريراً هو السابق لعجز البيت لا الفرزدق. وقال زكى الدين بن أبى الإصبع فى "تحرير التحبير": الذى أقوله: إن بين ابن عباس وبين الفرزدق فى استخراجهما كما بينهما فى مطلق الفضل، وفضل ابن عباس رضى الله عنهما معلوم، وأنا أذكر الفرق. فإن بيت عدى بن الرقاع من جملة قصيدة تقدم سماع معظمها، وعلم أنها دالية مردفة بألف موصولة مخرجة بألف منصوبة الروى من وزن معروف، ثم تقدم فى صدر البيت ذكر ظبية تسوق خشفًا لها، قد أخذ الشاعر فى تشبيه طرف قرنه مع العلم بسواده، وفى ذلك ما يدل على عجز البيت بحيث يسبق إليه من هو دون الفرزدق من حذاق الشعراء. وبيت عمر مفرد لم تعلم قافيته من أى ضرب هى من القوافى، ولا روية من أى الحروف، ولا حركة رويه من أى الحركات، فاستخراج عجزه ارتجالا فى غاية العسر، ونهاية الصعوبة، لولا ما أمد الله به هؤلاء القوم من المواد التى فضلوا بها عن غيرهم. ومن حذق عبد الله بن العباس رضى الله عنهما، ودقيق معرفته باختيار الكلام، جعله قافية الذى أتى به (أبعد) ولم يجعلها (أنزح) وكان ذلك ممكنًا له، لكون

(أبعد) أسرع ولوجًا فى السمع، وأسبق إلى الذهن، وأدخل فى القلب، وأكثر استعمالا، وأعرف عند الكافة، وبها جاء القرآن العزيز دون أنزح، وهى أحب إلى اللسان، وأولى بالبيان. انتهى كلامه بنصه.

وقد عن لى أن أورد هنا قصيدة عدى بن الرقاع، لأنها لا توجد برمتها فى كتب الأدب المتداولة فى الأيدى، مع تشوق كثير من الأدباء للوقوف عليها. قال عدى بن الرقاع يمدح الوليد عبد الملك أحد الخلفاء من بنى أمية:

عرف الديار توهمًا فاعتادها[1] من بعد ما درس البلى أبلادها

إلا رواسى كلهن قد اصطلى جمرًا وأشعل أهلها إبقادها[2]

كانت رواحل للقدور فعريت منهن واستلب الزمان رمادها

وتنكرت كل التنكر بعدنا والأرض تعرف بعلها[3] وجمادها

ولرب واضحة الجبين خريدة بيضاء قد ضربت به أوتادها[4]

تصطاد بهجتها المعلل بالصبا عرضًا فتقصده ولن يصطادها[5]

كالظبية البكر الفريدة ترتعى من أرضها قفاتها وعهادها

---

(١) اعتادها: أعاد النظر إليها مرة بعد الأخرى لدروسها حتى عرفها، والرواية فى الأغانى واللسان، شمل بدل درس. والأبلاد: جمع بلد وهو الأثر.

(٢) رواية الأغانى: رواكد، بدل: رواسى، و: حمراء أشعل، بدل: حمرًا وأشعل.

(٣) البعل: الأرض المرتفعة التى لا يصيبها مطر إلا مرة واحدة فى السنة، والجماد: اليابسة التى لم يصبها مطر ولا شىء فيها.

(٤) رواية الأغانى:

ولرب واضحة العوارض طفلة كالريم قد ضربت به أوتادها

(٥) المعلل بالصبا: المشغول به الملتهى، وأقصده: رماه بسهم فقتله.

خصبت بها عقد البراق حنينها ... عن عكرها علجاتها وعرادها

كالزين فى وجه العروس تبذلت ... بعد الحياء فلاعبت أرءادها[1]

تزجى أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها[2]

ركبت به من عالج متحيراً ... قفراً تريث وحشه أولادها

فترى محانيه التى تسبق الثرى ... والهبر يونق نبتها روادها[3]

بانت سعاد وأخلفت ميعادها ... وتباعدت عنا لتمنع زادها

إنى إذا ما لم تصلنى خلتى ... وتباعدت عنى اغتفرت بعادها[4]

إما ترى شيبى تقشع لمتى ... حتى علا وضح يلوح سوادها[5]

فلقد تتيب يد الفتاة وسادة ... لى جاعلا يسرى يدى وسادها

وأصاحب الجيش العرمرم فارساً ... فى الخيل أشهد كرها وطرادها

وقصيدة قد بت أجمع بينها ... حتى أقوم ميلها وسنادها

نظر المثقف فى كعوب قناته ... حتى يقيم ثقافة منآدها

فسترت عيب معيشتى بتكرم ... وأتيت فى سعة النعيم سدادها

وعلمت حتى ما أسائل واحداً ... عن علم واحدة لكى أزدادها

---

(١) الأرءاد: جمع رئد بالكسر، وهو الترب، وأكثر ما يكون فى الإناث.

(٢) الروق: القرن.

(٣) تسق تجمع، والمراد تكرم نباتها. والهبر: المطمئن من الأرض، وقد ضبط فى لسان العرب: نبتها بالنصب وروادها بالرفع، والصواب العكس.

(٤) الخلة بالضم: الخليل، يستوى فيه المذكر والمؤنث؟ لأنه فى الأصل مصدر.

(٥) لاحه: غيره.

صلى الإلـه على امـرئ ودعـتـه ... وأتم نعـمـتـه عـلـيـه وزادها

وإذا الربيع تـتـاعـبـت أنواؤه ... فسقى خناصرة الأحص فجادها[1]

نزل الوليـد بهـا فكان لأهـلهـا ... غـيـثًـا أغـاث أنيـسـهـا وبلادها

أو لا ترى أن الـبـريـة كلـهـا ... ألقت خـزائمـهـا إليه فـقـادها

ولقـد أراك الـله إذ ولاكـهـا ... من أمن إصـلاحـهـا ورشـادها[2]

وعمرت أرض المسلمين فـأقبلت ... ونفيت عنها مـن يريد فسـادها[3]

وأصبت فى بلد العـدو مـصيـبـة ... بلغت أقـاصى غـورها ونجـادها

ظفـرًا ونـصـرًا مـا ناول مـثله ... أحـد مـن الخلفـاء كـان أرادها

وإذا نشـرت لـه الثناء وجـدته ... جـمع المكارم طـرفـهـا وتلادها[4]

غلب المسـاميح الوليـد سـمـاحـة ... وكفى قـريش المعضـلات وسادها

تأتـيـه أسـلاب الأعـزة عـنوة ... قسرًا ويجمع لـلحروب عتادها[5]

وإذا رأى نار الـعـدو تـضـرمت ... سـامى جـمـاعة أهلـها فـاقـتـادها

بعـرمـرم تبـدو الروابى ذى وعى ... كالجرة احتمل الضحى أطوادها[6]

---

(١) خناصرة: بليدة من أعمال حلب، وهى قصبة كورة الأحص.

(٢) رواية العقد الفريد والأغانى: ولقد أراد الله.

(٣) رواية الأغانى: وكففت، بدل: ونفيت.

(٤) الطرف والطريف والطارف: المال المستفاد والتلاد: القديم الأصلى.

(٥) العتاد بالفتح. العدة والأهبة، ورواية العقد الفريد:

لم تأته الأسلاب إلا عنوة ... غصبًا ويجمع للحروب عتادها

(٦) الوعى بالمهلة: الجلبـة، والجرة بالفتح: الأرض الصلبـة الغليظة، والمعنى: أن الآل الذى يكون فى الضحى روع جبالها، فإن رآها الناظر رأى أنها قد طالت وعظمت.

أطفأت نارًا للحروب وأوقدت نار قدحت براحتيك زنادها

فبدت بصيرتها لمن يبغى الهدى وأصاب حر شديدها حسادها

وإذا غدا يومًا بنفحة نائل عرضت له الغد مثلها فأعادها

وإذا عدت خيل نبادر غاية فالسابق الجالى يقود جيادها[1]

تمت القصيدة. ويروى أن عديا أنشدها الوليد وعنده كثير، وكان قد بلغه عن عدى أنه يطعن على شعره، ويقول: هذا شعر حجازى مقرور، إذا أصابه قر الشام جمد وهلك. فلما أتى عدى على قوله:

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها

قال له كثير: لو كنت مطبوعًا أو فصيحًا أو عالمًا، لم تأت فيها بميل ولإسناد، فتحتاج إلى أن تقومها. ثم أنشد:

نظر المثقف فى كعوب قناته حتى يقيم ثقافة منآدها

فقال كثير: لا جرم أن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء، ولأن تسكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها. ثم أنشد:

وعلمت حتى ما أسائل واحدًا عن علم واحدة لكى أزدادها

فقال كثير: كذبت ورب البيت الحرام، فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك، وما كنت قط أحمق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك. فضحك الوليد ومن حضر، وقطع عدى ابن الرقاع حتى ما نطق.

---

(١) فى الأصل: وإذا عدت خيلا يبادر غاية.

وروى عن محمد بن المنجم أنه قال: مـا ذكر لى أحد فأجيب أن أراه، فإذا رأيته مرات بصفعه؛ إلا عدى بن الرقاع، لقوله:

وعلمت حتى ما أسائل . . البـيت. فكنت أعرض عليه أصناف العلوم فكلما مر به شيء، ولا يحسنه، أمرت بصفعه.

فصل فى مؤلفاته

قال أبو العلاء: لزمت مسكنى منذ سنة أربعمائة، واجتهدت على أن أتوفر على تسبيح الله وتحميده، إلى أن اضطر إلى غير ذلك، فأمليت أشياء، وتولى نسخها الشيخ أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى هاشم، أحسن الله معونته، فألزمنى بذلك حقوقًا جمة وأيادى بيضاء، لأنه أفنى فى زمنه، ولم يأخذ عما صنع ثمنه، والله يحسن له الجزاء، ويكفيه حوادث الزمن والأرزاء. انتهى.

وقد رتبنا أسماء هذه الكتب على حروف المعجم، تسهيلا على المطالع. واعتمدنا فيما ذكرناه على ما فى "إرشاد الأريب" لياقوت، و "كشف الظنون" لمصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب جلبى، وغيرهما من كتب التراجم والأخبار. وتكلمنا على ما وقفنا عليه منها بما يتسع له هذا المختصر:

(١) أدب العصفورين: رسالة ذكرها ياقوت، وصاحب كشف الظنون

(٢) استغفر واستغفرى: كتاب فى المنظوم، به نحو عشرة آلاف بيت، ويقع فى مائة وعشرين كراسة، ذكره ياقوت، وأهمله صاحب الكشف.

(٣) إسعاف الصديق: فى ثلاثة أجزاء، يتعلق بكتاب الجمل فى النحو للزجاجى المتوفى سنة ٣٣٩. ذكره ياقوت، وصاحب الكشف.

(٤) إقليد الغايات: كتب لطيف، قصره على تفسير ما جاء من اللغز فى كتابه: الفصول والغايات، ذكره ياقوت، وصاحب الكشف.

(٥) الأمالى: لم يذكره ياقوت، وقال صاحب الكشف: هو مائة كراسة ولم يكمله.

(٦) الأيك والغصون: ذكره ياقوت وصاحب الكشف فى حزف الكاف فى الكتب، ويسمى أيضًا بالهمزة والردف؛ لأنه بناه على إحدى عشرة حالة للهمزة فى حال إفرادها وإضافتها. مثاله: سماء بالرفع والنصب والخفض، سماء بالتنوين، سماؤه سماءه سمائه بالحركات الثلاث مع الإضافة للضمير المذكر، سماؤها سمائها بها مع الإضافة للمؤنث، ثم همزة بعدها هاء ساكنة مثل: عباءة وملاءة. فإذا ضربت الإحدى عشرة فى حروف المعجم الثمانية والعشرين، خرج من ذلك ثلاثمائة فصل وثمانية، وهى مستوفاة فى هذا الكتاب. وذكر فيه أيضًا الأرداف الأربعة بعد ذكر الألف. ومبناه على العظات وذم الدنيا. ومقداره ألف ومائتا كراسة، تقع فى اثنين وتسعين جزءًا كما ذكر ياقوت. وقال ابن خلكان: بلغنى أن له كتابًا سماه الأيك والغصون وهو المعروف بالهمزة والردف، يقارب المائة جزء، فى الأدب؛ وحكى لى من وقف على المجلد الأول بعد المائة، فقال: لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد.

(٧) بحر الزجر: يتعلق بكتاب "زجر النابح" ذكره ياقوت، ولم يذكر فى كشف الظنون.

(٨) تاج الحرة: فى عظات النساء خاصة، وتختلف فصوله، فمنها ما يجىء بعد حرفه الذى يثبت ثبات الروى ياء التأنيث، كقوله: شأنى ونشأتى وتسائى ونحوها. ومنه ما هو مبنى على الكاف نحو غلامك وكلامك. ومنها ما يجىء على تفعلين، مثل ترغبين وتذهبين، وأنواع هذا الكتاب كثيرة، ويقع فى أربعمائة كراسة، كما فى ياقوت وكشف الظنون.

(٩) تضمين الآى. لم يذكره صاحب كشف الظنون، وقال ياقوت: هو

كتاب مختلف الفصول؛ فمنه طائفة على حروف المعجم، وقبل الحرف المعتمد ألف، مثل أن يقال فى الهمزة: بناء ونساء، وفى الباء: ثياب وعباب. ثم على هذا إلى آخر الحروف. ومنه فصول على فاعلين وعلى فاعلون وغير ذلك. والغرض أن يأتى بعد انقضاء الكلام بآية من الكتاب العزيز أو بعض آية، وربما يجىء بآيتين. قال: والسبب فى تأليفه أن بعض الأمراء سأله أن يؤلف كتابًا برسمه، ولم يؤثر أن يؤلف شيئًا فى غير العظات، والحث على تقوى الله، فأملى هذا الكتاب، ويقع فى أربعمائة كراسة.

(١٠) تعليق الجليس: مما يتصل بكتاب الجمل للزجاجى، فى جزء واحد ذكره ياقوت، ويم يذكر فى الكشف.

(١١) تفسير خطبة الفصيح: فسر فيه غريب كتابه خطبة الفصيح ذكره ياقوت، وصاحب الكشف.

(١٢) تفسير الهمزة والردف فى جزء، ذكره ياقوت ولم يذكر فى الكشف.

(١٣) جامع الأوزان: فيه شعر منظوم على معنى يعم به الأوزان الخمسة عشر التى ذكرها الخليل، بجميع ضروبها، ويذكر قوافى كل ضرب، به تسعة آلاف بيت، ومقداره ستون كراسة فى ثلاثة أجزاء. ذكره ياقوت، وصاحب الكشف.

(١٤) الجلى والحلبى: هكذا ورد فى نسخة ياقوت، وكتب مصححه: لعله "الحلى الحلبى" ساله فيه صديق له من أهل حلب، يعرف بابن الحلى، مجلد واحد وعشرون كراسة. ولم يذكر فى كشف الظنون.

(١٥) الحقير النافع: مختصر فى النحو: خمس كراسات، كما فى ياقوت والكشف، وذكره السيوطى فى بغية الوعاة.

(١٦) خادم الرسائل: فى تفسير ما تضمنته رسائله من الغريب، سواء أكانت من الرسائل الطوال، كالغفران والملائكة ونحوهما؛ أو ما دونها. ولم يذكر فيه إلا ما يحتاج إليه المبتدئون فى الأدب، وسماه صاحب كشف الظنون: خادمة الرسائل.

(١٧) خطبة الفصيح: تكلم فيه عن أبواب الفصيح فى خمس عشرة كراسة، كما فى ياقوت والكشف، وله تفسير غريبه، وقد مضى ذكره.

(١٨) خطب الخيل: تكلم فيه على ألسنتها فى عشر كراسات، كما فى ياقوت والكشف.

(١٩) حماسية الرياح: قال ياقوت: هو كتاب لطيف فى ذم الخمر ومعنى هذا الاسم أنه بنى على حروف المعجم، فذكر لكل حرف تمكن حركته خمس سجعات مضمومات، وخمسًا مفتوحات، وخمسًا مكسورات. وخمسًا موقوفات. يكون مقداره عشر كراسات. وتصحف اسمه على صاحب كشف الظنون بحماسة الراح، فذكره فى حرف الحاء.

(٢٠) دعاء الأيام السبعة. ذكره ياقوت.

(٢١) دعاء ساعة: ذكره أيضًا.

(٢٢) دعاء وحرز الخيل: ذكره أيضًا.

(٢٣) ديوان الرسائل: وهى ثلاثة أقسام كالغفران والسندية ونحوهما، وسنذكر منها ما وقفنا على اسمه. ومنها ما دون تلك، كالرسالة الإغريضية،

ورسالة المنيح. ومنها قصار كنحو ما تجرى به العادة فى المكاتبة. قال ياقوت وصاحب كشف الظنون: إنها تقع جميعها فى ثمانمائة كراسة. وقد طبع قسم من هذه الرسائل فى بيروت وأكسفورد، وعندى منها نسختان مخطوطتان فى إحداهما مكاتبات جرت بينه وبين ابن أبى عمران داعى الدعاة بمصر، وهى التى لخصها ياقوت فى إرشاد الأريب، وقد مضى أنه شرح رسائله فى كتابه: خادم الرسائل.

(٢٤) ذكرى حبيب: ذكره صاحب الكشف، وقال ياقوت: إنه مختصر فى غريب شعر أبى تمام، سأله فيه صديق له من الكتاب. مقداره ستون كراسة فى أربعة أجزاء. وقال ابن خلكان: إنه اختصر ديوان أبى تمام وشرحه وسماه: ذكرى حبيب. وفى مقدمة شرح ديوان أبى تمام للتبريزى أن أبا العلاء ذكر فى هذا الكتاب الأبيات المشكلة من شعر أبى تمام متفرقة. ومن فوائده التى نقلها عنه أن شعر أبى تمام إنما أغلق، لأنه لم يؤثر عنه، فتناقلته الضعفة من الرواة، والجهلة من الناسخين، فبدلوا الحركة بالحركة، وأوقعوا الناظر بما جنوه فى أم دراص[1] وتغلس، وغيروا الأحرف بسوء التصحيف، فغادروا الفهم خابطًا فى عشواء لأن تغيير الضمة إلى الفتحة والكسرة، ينشب الفطن فى حبالة؛ فأما نقل الحاء إلى الخاء، والدال إلى الذال، فيحدث عنه إلباس، ويقرن به بلادة وإشكاس.

(٢٥) الراحلة: ثلاثة أجزاء فى تفسير لزوم ما لا يلزم. ذكره ياقوت فقط.

---

(١) أم أدراس: الداهية. ويقال: وقع فى وادى تغلس غير مصروف كتخيب وتهلك، فى داهية منكرة، والأصل فيه أن الغارات كانت تقع بكرة يغلس.

(٢٦) راحة اللزوم: يشرح فيه ما فى لزوم ما لا يلزم من الغريب، نحو مائة كراسة، كما فى ياقوت والكشف.

(٢٧) الرسالة الحضية: كذا ذكرها ياقوت.

(٢٨) الرسالة الزعفرانية: ذكرها صاحب الكشف ولم يذكرها ياقوت.

(٢٩) الرسالة السندية: ذكرت فى ياقوت والكشف.

(٣٠) رسالة العروض: هكذا فى كشف الظنون، وفى نسخة ياقوت: الفرض بالفاء، ولعله القرض أو القريض بالقاف.

(٣١) رسالة لسان ملك الموت: ذكرها ياقوت، ولا أدرى أن كانت رسالة الملائكة أو غيرها.

(٣٢) رسالة الغفران: كتبها لعلى بن منصور الحلبى المعروف بابن القارح، جوابًا على رسالة أرسلها له يذكر بها شوقه إلى لقائه، وينحى فيها على الزنادقة، ويتنقص الوزير المغربى صديق أبى العلاء. فأجابه برسالة الغفران، وضمنها فنونًا شتى من اللغة والأدب، ونحا فيها نحواً غريبًا، فاستطرد إلى الجنة، فوصفها وصفًا يشوق النفوس، إليها، ويرغبها فى نعيمها، وذكر النار وأهوالها بطريقة لا تسأمها النفس. وقد طبعت هذه الرسالة بمصر سنة ١٣٢٥، وعندى منها نسختان مخطوطتان، وبدار الكتب الخديوية بالقاهرة نسخة من كتب الأستاذ الشنقيطى - رحمه الله - وفى القسطنطينية العظمى نسخة فى خزانة الكبريلى. وكنت فى شوق لرسالة ابن القارح المذكورة، حتى ظفرت بها فى مجموع نفيس وقع لى.

(٣٣) رسالة الملائكة: اقتصر ياقوت وصاحب الكشف على ذكر اسمها

وقال أبـو الفضل المؤيد بن الموفق الصـاحبى فى كـتاب "الحكم البـوالغ، فى شرح الكلم النـوابغ" : رسالة الملائكة، ألفهـا أبو العلاء المعـرى على جواب مسائل تصريفـية ألقاها إليه بعض الطلبة، فأجـاب عنها بهذا الطريق الظريف المشتمل على الفـوائد الأنيقة، انتهى. قلت: وأسلوبه فـيها غريب، افتتـحها معتذرًا للسـائل بكبر سنه، وبعد عهده بالمسائل النحوية والصـرفية، وقربه من الموت. ثم بدأ فى الجواب فـقال: "أفترانى أدافع ملك الموت، فـأقول: أصل ملك مألك . . الخ" فساق هذا البحث فى مـناقشته مع الملك، وأتى بشواهد من كلام العرب، إلى أن انتقل إلى بحث آخر، فقال: "فيقول الملك: من ابن أبى ربيعـة وأبو عبـيدة، وما هذه الأباطيل؟ إن كـان لك عمل صـالح فأنت سعـيد، وإلا فاخسـأ وراءك، فأقول: فأمـهلنى حتى أخبـرك بوزن عزرائيل، وأقيم الدليل على أن الهمزة فـيه زائدة . . . الخ" ثم انتقل إلى ناطر ونكير، فباحثهما عن اسميـهما، وهكذا حتى أتم الإجابة عن الأسئلة فى هذا السياق العجـيب. وعندى من هذه الرسالة نسـخة مخطوطـة ضمن مجـموع، وبدار الكتب الأزهرية بالقـاهرة أخرى، وقـد أوردها السيوطى بتـمامـها فى كـتابه الأشباه والنظائر النحوية.

(٣٤) رسائل المعونة: وهى التلى كتبهـا على لسان غيره، ذكرها ياقوت وصاحب الكشف.

(٣٥) رسل الراموز: نحو ثلاثين كراسة. ذكره ياقوت.

(٣٦) الرياش المصطنعى: فى شرح مواضع من الحمـاسة الرياشية، ألفه للأميـر مصطنع الدولة أبى غالب كليب بن على، وكـان أنفذ إليه نسـخة من هذه الحماسة، وسـأله أن يخرج على حواشيها شيـئًا مما لم يذكره أبو رياش،

فخشى أن تضيق الحواشى عن ذلك، فصنع هذا الكتاب فى أربعين كراسة. ذكر فى ياقوت والكشف.

(٣٧) زجر النابح: يتعلق بلزوم ما لا يلزم، ,ذلك أن بعض الجهال تكلم على أبيات من لزم ما لا يلزم، يريد بها التشرر والأذية، فألزم أبا العلاء أصدقاؤه بإنشائه، فأنشأه وهو كاره. مقداره أربعون كراسة فى جزء واحد. ذكره ياقوت وصاحب الكشف. وله كتاب يتعلق بهذا ورد اسمه فى نسخة ياقوت "بحر الزجر" وقد مضى ذكره.

(٣٨) السادن: أنشأه فى تفسير غريب كتابه الفصول والغايات، وما فيه من اللغز. مقداره عشرون كراسة. ذكره ياقوت وصاحب الكشف.

(٣٩) السجعات العشر: موضوع على كل حرف من حروف المعجم عشر سجعات فى المواعظ. ذكره ياقوت وصاحب الكشف.

(٤٠) سجع الحمائم: تكلم فيه على لسان حمائم أربع، وكان بعض الرؤساء سأله أن يصنف له تصنيفًا يذكره فيه، فأنشأ هذا الكتاب؟ وجعل ما يقوله على لسان الحمامة فى العظة والحث على الزهد. مقداره ثلاثون كراسة فى أربعة أجزاء. ذكر فى ياقوت والكشف.

(٤١) السجع السلطانى: يشتمل على مخاطبات الملوك والوزراء وغيرهم من الولاة، سأله فيه بعض من خدم السلطان، وارتفعت طبقته، ولم يكن له قدم فى الكتابة، فطلب أن ينشأ له كتاب مسجوع من أوله إلى آخره، ولا يشعر بما يريد، لقلة خبرته بالأدب. فألف له هذا الكتاب. قال ياقوت: فى أربعة أجزاء، وقال صاحب الكشف: إنه ثمانون كراسة.

(٤٢) سجع الفقيه: جزء فى ثلاثين كراسة. ذكره ياقوت وصاحب الكشف.

(٤٣) سجع المضطرين: كتاب لطيف، عمله لرجل تاجر مسافر، يستعين به على أمور دنياه. ذكره ياقوت وصاحب الكشف.

(٤٤) سقط الزند: وهو ديوان يشتمل على أكثر من ثلاثة آلاف بيت ضمنه شعره فى صباه. وسماه بذلك لأن السقط أول نار تخرج من الزند، فشبه شعره الأول به. قال التبريزى: لما حضرت أبا العلاء، قرأت عليه كثيراً من كتب اللغة، وشيئًا من تصانيفه، فرأيته يكره أن يقرأ عليه شعره فى صباه، الملقب بسقط الزند، وكان يغير الكلمة بعد الكلمة منه إذا قرئت عليه، ويقول معتذراً عن تأبيه وامتناعه من سماع هذا الديوان: مدحت نفسى فيه، فلا اشتهى أن أسمعه. وكان يحثنى على الاشتغال بغيره من كتبه. انتهى. ولهذا الديوان شروح، أولها شرح لأبى العلاء نفسه سماه (ضوء السقط) وهو غير واف، نقله عنه التبريزى، وأوضح مشكلاته، وذكر اللغة الغريبة، واقتصر فى تفسير المعانى على ما لا بد منه. ثم تناوله أبو يعقوب يوسف ين طاهر النحوى، فأصلحه وزاد فيه، وسماه: "التنوير" وطبع بمصر غفلا من اسم مؤلفه. ومن شروح هذا الديوان شرح الفخر الرازى، و "ضرام السقط" لمجد الدين أبى الفضل قاسم بن حسين بن محمد الخوارزمى المشهور بصدر الأفاضل النحوى، وقفت على نسخة منه فى خزانة آل رفاعة بالقاهرة. و "الزوائد" لأبى رشاد الإخسيكتى، و "العمدة" لابن البارزى، وشرح ابن السيد البطليموسى وهو عزيز الوجود، وقعت لى منه أوراق من نسخة قديمة، فإذا به شرح على ديوان ممزوج من سقط الزند واللزوميات. وقد انتقد

أبو بكر بن العربى على مـواضع منه، فرد عليه ابن السيد فى رسـالة لطيفة، وقفت علـيها وهى عندى. ولـلشيخ تاج الدين بن عـبد الرحمـن شرح على قصيدة لأمية من هذا الديوان مطلعها:

ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل

سمـاه: "مراقى العـلا، فى شرح لأمـية أبى العـلاء" وهو عندى فى مجموع.

(٤٥) سيف الخطيب: هكذا فى الكشف، وفى ياقوت "سيف الخطبة" وهو جـزءان، يشـتمل علـى خطب السنة، فـيه خطب لـلجمع والعـيـدين والخسوف والكسوف والاستسقـاء وعقد النكاح، وهى مؤلفة على حروف من حـروف المعجم، فـيهـا خطب عمـادها الهـمزة، وخطب بنيت على البـاء، وخطب علـى الدال، وعلى الراء، وعلـى اللام، وعلى الميم، وعـلى النون، وتركت الجيم والخاء ومـا يجرى مجراهما؛ لأن الكلام المقول فى الجـماعات ينبغى أن يكون سجسجا[1] سهلا مقداره أربعون كراسة. وكان سأله فيه رجل من المتظاهرين بالديانة.

(٤٦) شرح الرسـالة الإغريضـية: لم يذكـره ياقوت، وذكـره صاحب الكشف. مقـداره عشرون كـراسة. وللشيخ إبراهيم الفـصيح بن صبـغة الله الحـيـدرى، من علمـاء أواخـر القرن الثـالث عـشـر، شـرح على الرسـالة الإغريضـية، سماه: النوادر الحكمـية والأدبية، ألفه برسم مـصطفى باشا بن إبراهيم بن محمـد على والى مصر، وتوجد منه نسخـة مخطوطة بدار الكتب الخديوية بالقاهرة.

(١) السجسج: الذى بين الصلابة واللين. والهواء السجسج. ليس بحار ولا بارد.

(٤٧) شرح كتاب سيبويه: فى النحو، فـى خمسين كراسة، ولم يتمه. كما فياقوت والكشف وبغية الوعاة.

(٤٨) شرف السيف. قـال ياقوت: عـمله لنشتكن الدرزى الـذى كان مقيـمًا بدمشق، والسبب فـيه أنه كان يوجه إلى أبى العلاء بـالسلام، ويحفى المسألة عنه، فأراد جزاءه على ما فعل. وهو فى جزأين. وفى كشف الظنون: "شرف السلف عشرون كراسة عمله لأمير الجيوش".

(٤٩) الصاهل والشـاحج: يتكلم فيـه على لسان فرس وبغل، مـقداره أربعون كراسة، صنفه لآبى شـجاع فاتك الملقب بعزيز الدولة والى حلب من قبل المصريين، وكـان روميا. ذكره ياقوت، وصـاحب الكشف فى الرسائل. وفى خطط المقـريزى جـ ٢ ص ١٥٤ رواية رواها أبو العـلاء فـى الصـاهل والشاحج، للبيتين: زر وادى القصر .. الخ.

والشاحج: البغل؛ وشجيجه، وشجاجه: صوته.

(٥٠) ضوء السقط: فسر فيه غريب ديوانه سقط الزند، مقداره عشرون كراسـة، ذكره ياقـوت وصاحب الكشف وابن خلكان. وقـد فصل بعـضهم الدرعيـات من سقط الزند، وطبعهـا على حدة فى بيروت، وسمـاها: ضوء السقط، وهو خطأ ينبغى أن يتنبه له.

(٥١) الطل الطاهرى: أنشأه لرجل يعرف بأبى طاهر. ذكره ياقوت ولم يذكر فى الكشف.

(٥٢) تفسير العـضدى: يتصل بالكتاب المعروف بالعـضدى فى النحو. ذكره ياقوت وصاحب الكشف والسيوطى.

(٥٣) عبث الوليـد: يؤخذ من عبارة ابن خلكان أنه اختصر فيـه شعر البحترى وشرحه، واسم الكتاب لا يدل على ما قال. وقال غيره. إنه يتضمن أغاليط البحترى. وقال ياقوت: إنه يتصل بشـعر البحترى، وكان سبب إنشائه أن بعض الرؤساء أنفذ نسـخة ليقابل بها، فأثبت ما جـرى من الغلط ليعرض ذلك عليه. وهو جزء واحـد فى عشرين كراسة. أقول: قد وقـعت لى نسخة من هذا الكتاب، فـوجدتها كمـا قال ياقوت، والخطأ الذى يذكـره أبو العلاء تارة يكون من النسخة المرسلة إليه، وتارة من الناظم نفسه؛ ولهذا سماه بعبث الوليد تورية باسمه، لأن البحترى اسمه الوليد. والوليد أيضًا: الصبى، فكأنه قال: لعب الصبـى وخلطه. ورتب فيه الأبيات التى تعـرض لها على حروف المعجم باعـتبار قوافيـها، وله فيه فـوائد وآراء؛ كقوله فى بيت البـحترى فى وصف فرس:

أخواله للرستمين[1] بفارس وجدوده للتبعين بموكل[2]

قال: يروى الرسـتمين على الجـمع وكذلك التـبعين، ويروى بالتـثنية، والجمع أشبه؛ لأنه قـال أخواله فـجمع، وكـذلك قال جدوده. فـأن تكون الأخوال والجدود للملوك كثيرة أشبه من أن تكون لملكين. انتهى كلامه. قلت: وقد يقال أيضًـا فى ترجيح ما رجحـه أن لا وجه لتخصيص اثنيـن من تبايعة اليمن بالذكر؛ لأنه لم يسمع عن اثنين مخصـوصين منهم امتاز بشهرة تصرف

---

(١) رستم: بضم الراء وسكون السين وفتح المثناه الفوقية، وقد تضم.

(٢) مع كل مـوضع، ولا نظيـر له إلا مـورق اسم ملك للروم ومـوزن ومـوهب ومـوظب وموحد، والقـياس فيما كـانت فاؤه حرف علة أن يكون المفعل منه مكسـور العين، مثل موعد ومورد لكن جاءت هذه شاذة.

إليهما الأذهان، إذ ذكر التبعان، وما يقال فيهما يقال فى الرستمين، فرواية الجمع أرجح وأقرب إلى الصواب.

(٥٤) عظات السور: ذكره ياقوت، ولم يتكلم عليه.

(٥٥) العظة والزهد: لم يذكره ياقوت، وذكره صاحب الكشف فى حرف الكاف فى الكتب، وقال: مائة وعشرون كراسة.

(٥٦) عون الجمل: قال ياقوت: يصل بكتاب الزجاجى، عمله لأبى الفتح محمد بن على بن أبى هاشم، وهو آخر شىء أملاه، وفى كشف الظنون أنه شرح لشواهد جمل الزجاجى لم يتم، وكذلك فى بغية الوعاة للسيوطى.

(٥٧) الفصول: لم يذكره ياقوت، وذكره صاحب الكشف فقال: إنه غير الفصول والغايات، وهو أربعمائة كراسة.

(٥٨) الفصول والغايات: هو الكتاب الذى زعم شانئوه أنه عارض به القرآن الكريم، وسماه الفصول والغايات فى معارضة السور والآيات، وسنشبع القول فى هذا الزعيم عند الكلام على معتقده. وليس فى هذا الكتاب إلا عظات ونصائح، والمراد بالغايات القوافى؛ لأن القافية غاية البيت أى منتهاه، وه وموضوع على حروف المعجم ما خلا الألف؛ لأن فواصله مبنية على أن يكون ما قبل الحرف المعتمد فيها ألف، ومن المحال أن يحمل بين ألفين. ولكن تجىء الهمزة وقبلها ألف، مثل العطاء والكساء، وكذلك الشراب والسراب فى الباء، ثم على هذا الترتيب، وليست حروفه المبنى عليها مستوية الإعراب، بل تجىء مختلفة، وفيها ما يجىء على نسق واحد. وقيل: إنه بدأ فيه قبل رحلته إلى بغداد وأتمه بعد عوده إلى المعرة، ومقداره مائة

كراسة. ذكره ياقوت وصاحب الكشف. ويتعلق بهذا الكتاب: إقليد الغايات، والسادن، وقد مر ذكرهما.

(٥٩) فضائل أمير المؤمنين على بن ابى طالب، كرم الله وجهه. ضمنه بعض فضائله. ذكره ياقوت فقط.

(٦٠) قاضى الحق: يتصل بكتاب الكافى فى النحو لأبى جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨. ذكر فى ياقوت والكشف.

(٦١) القائف: ذكره صاحب الكشف فى حرف الكاف فى الكتب، وسقط من نسخة ياقوت المطبوعة، إلا أن كلامه على كتابه المسمى بمنار القائف دلالة على أن له كتابًا بهذا الاسم.

(٦٢) اللامع العزيزى، فى شرح شعر المتنبى، صنفه للأمير عزيز الدولة ابن تاج الأمراء أبى الدوام ثابت بن ثمال، مقداره مائة وعشرون كراسة. ذكره ياقوت وصاحب الكشف وابن خلكان وغيرهم، ومنه نسخة بخزانة لا له لى بالقسطنطينية رقمها (١٨٢٥).

(٦٣) لزوم ما لا يلزم: هو ديوان كبير مرتب على حروف المعجم، يذكر كل حرف بوجوهه الأربعة: الضمة والفتحة والكسرة والسكون. ومعنى لزوم ما لا يلزم أنه يلتزم قبل الروى حرفًا إذا غير لم يكن مخلا بالنظم. قال فى خطبته: إنه ذكر فيه ما هو تمجيد لله شرف عن التمجيد، أو تذكير للناسين، وتنبيه للغافلين، أو تحذير من الدنيا؛ فإن جاوز المشترط فإن الذى جاوز إليه قول عرى من المين. وهو أحد كتبه التى تكلموا فيها، وسنفصل القول فيه عند الكلام على معتقده وشعره. طبع بالهند سنة ١٣٠٣ وبمصر سنة ١٨٩١ - ١٨٩٥ ميلادية. وكان الأديب الفاضل الشيخ أحمد الفحماوى

النابلسى، نزيل مصر رحمه الله تعالى، مشتهراً بكتابة نسخ من هذا الكتاب، يتحرى فيها الصحة، ويطرزها بالحواشى المفيدة، ثم يبيع النسخة بعشرين ديناراً مصريا، فيتنافس فى اقتنائها أعيان مصر وسرانها، وعندى منها نسختان. ووقعت لى نسخة مخطوطة من مختصر له، اسمه: مختار لزوم ما لا يلزم، تنقص أوراقًا من أولها، ويبتدئ ما فيها من أثناء قافية الباء المضمومة، ولذهاب أولها لم أقف على اسم مؤلفيها. ولأبى العلاء شرح عليه سماه: راحة اللزوم، وله أيضًا: زجر الناتج، وبحر الزجر، والراحلة. وكلها تتعلق باللزوميات، وقد مضى ذكرها.

(٦٤) مبهج الأسرار: لم يذكره ياقوت، وقال صاحب كشف الظنون: لأبى العلاء، ولم يقل المعرى، واسم الكتاب يدل على أنه لغيره.

(٦٥) مثقال النظم: فى العروض. ذكره ياقوت والسيوطى فى بغية الرعاة.

(٦٦) مجد الأنصار، فى القوافى. ذكره ياقوت.

(٦٧) المختصر الفتحى: يتصل بكتاب محمد بن سعدان، صنفه لرجل يكنى أبا الفتح محمد بن على بن أبى هاشم، وكان أبو هذا الرجل تولى إثبات ما ألفه أبو العلاء من جميع كتبه، فألزمه بذلك حقوقًا جمة، وأيادى كثيرة. كذا ذكر ياقوت.

(٦٨) معجز أحمد: لم يذكره صاحب الكشف، ويذهب بعضهم إلى أنه هو اللامع العزيزى فى شرح المتنبى. ويستفاد من عبارة ابن خلكان أنه غيره، وأن أبا العلاء اختصر ديوان المتنبى، وتكلم على غريبه، وذكر سرقاته وما أخذ فى هذا الكتاب. ومن فوائده التى ذكرها فيه، ونقلها عنه أصحاب

البديع، استنباطه لنوع من البديع سماه "الطاعة والعصيان" عند كلامه على قول المتنبى:

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

فزعم أنه أراد أن يقول وهو مستيقظ ليطابق بينه وبين راقد، ولما عصاه الوزن عدل عنه إلى قادر، وفيه معنى مستيقظ وزيادة، فأطاعه التجنيس المقلوب بين قادر وراقد، وعصته المطابقة بين راقد ومستيقظ. ورد عليه زكى الدين بن أبى الإصبع بأن ليس فى البيت شيء من ذلك، لإمكان أن يقول وهو ساهر بدل قادر. انتهى. وجل من أتى بهذا النوع من أصحاب البديعيات، لم تسلم أبياتهم من مثل هذا النقد.

(٦٩) ملقى السبيل: مختصر فيه نظم ونثر، ذكره ياقوت وصاحب الكشف، ووقعت لى نسخة منه، فوجدته فى المواعظ مرتبًا على حروف المعجم، يذكر فى كل حرف فقرات من النثر، ثم يتبعها بأبيات من القافية؛ كقوله فى حرف الحاء: إن ابن آدم شحيح، سوف يمرض من القوم صحيح، يعصف بعقله الريح؛ إن ذلك لهو التبريح.

يأيها الممسك الشحيح سيمرض السالم الصحيح

ما لك لم تنتفع بعقل هل عصفت بالعقول ريح

إن شيد القصر فى سرور فبعده يحفر الضريح

ويطرح الهم بالمنايا من جسمه فى الهوى طريح

(٧٠) منار القائف: فى تفسير ما جاء من اللغز والغريب فى كتابه القائف، مقداره عشر كراريس. ذكره ياقوت.

(٧١) المواعظ الست: ذكره ياقوت وصاحب الكشف، ومعنى هذا الاسم أن الفصل الأول منه فى خطاب رجل، والثانى فى خطاب اثنين، والثالث فى خطاب جماعة، والرابع فى خطاب امرأة، والخامس فى خطاب امرأتين، والسادس فى خطاب نسوة. فى خمس عشر كراسة.

(٧٢) نشر شواهد الجهرة: لم يذكر فى الكشف، وقال ياقوت: إنه فى ثلاثة أجزاء، ولم يتم.

(٧٣) نظم السور: ستة كراريس، ذكره صاحب الكشف، وجاء فى نسخة ياقوت: تظلم السور، بالمثناة الفوقية، ولعله تحريف.

(٧٤) وقعة الواعظ: هكذا فى نسخة ياقوت، وقال مصححه: لعله برقعة الواعظ، ولم يذكره صاحب كشف الظنون.

***

وله سوى ذلك كتب فى العروض والشعر بدأ بها ولم تتم. ورأيت بعض العصريين ينسب إليه كتابًا اسمه الفصوص، ويزعم أنه سقط منه فى الدجلة، وهو يحمله إلى أحد الأمراء ببغداد، فقال فيه بعض الشعراء:

قد غاص فى النهر كتاب الفصوص وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه أبو العلاء بقوله:

عاد إلى معدنه إنما توجد فى قعر البحار الفصوص

والصواب أن هذا الكتاب لأبى العلاء صاعد اللغوى البغدادى، أحد الراحلين إلى الأندلس، وبها ألفه، ووقعت له هذه القصة. وسببها أنه استأذن من المنصور بن أبى عامر فى إملاء كتاب بجامع مدينة الزهراء، يفوق أمالى

أبى على القالى التى أملاها بقرطبة فى دولة عبد الرحمن وابنه الحكم، واشترط أن لا يورد فيه خبراً أورده القالى. فأذن له في ذلك، فأملى كتاب الفصوص، ولما أكمله تتبعه أدباء الوقت، فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم، ولا خبر ثبت لديهم. وكان صاعد متهمًا بالكذب جريئًا عليه، فأراد المنصور امتحانه. فعمد إلى كراريس بيض وأمر أن تجلد وتزال جدتها حتى يتوهم فيها القدم، وترجم عليها كتاب النكت تأليف أبى الغوث الصنعانى، فترامى إليه صاعد حين رآه وجعل يقبله، ويقول: إى والله، قرأته بالبلد الفلانى على الشيخ أبى فلان، فأخذه المنصور من يده خوفًا من أن يفتحه، وقال: إن كنت قد قرأته كما تزعم، فعلام يحتوى؟ فقال: وأبيك لقد بعد عهدى به، ولا أحفظ الآن منه شيئًا، ولكنه يحتوى على لغة منثورة لا يشوبها شعر ولا خبر، فقال له المنصور: أبعد الله مثلك، فما رأيت أكذب منك. وأمر بإخراجه وإلقاء كتاب الفصوص فى النهر، فقال فيه بعض الشعراء، وأجابه صاعد بما تقدم.

قال ابن بسام: وما أظن أحداً يجترئ على مثل هذا، وإنما صاعد اشترط ألا يأتى إلا بالغريب غير المشهور، وأعانهم على نفسه بما كان يتنفق به من الكذب. انتهى.

ومن جراءته على الكذب نادرته فى الخنفشار، وذلك ان المنصور سأله يومًا عنه، فقال على البديهية: هو حشيشة يعقد بها اللبن ببادية الأعراب، وفى ذلك يقول شاعرهم.

لقد عقدت محبتها بقلبى كما عقد الحليب الخنفشار

ورواية هذه اللفظة بالخاء المعجمة والفاء هو المشهور فى كتب الأدب

والتاريخ وقد رويت بالباء الموحدة فى نسختى نفح الطيب المطبوعتين بمصر. ووردت فى التى طبعت بأوروبا بالحاء المهملة والباء الموحدة، ورواية البيت فيها:

لقد عقدت محبتها بقلبى كما عقد الحليب بحنبشار

إلا أن المصحح ذكر بالحاشية ورودها فى بعض النسخ بالخاء المعجمة والباء الموحدة؛ وفى أخرى بالخاء أيضًا والفاء، وهو الصواب على ما ترجح عندى، وما عداه محرف عنه. وسببه أن صاحب نفح الطيب تلمسانى كما هو معلوم، وقاعدة المغاربة فى الكتابة نقط الفاء بنقطة من تحت، فيظهر أن نسخة الأصل كتبت بخط مغربى، وطمس الكاتب رأس الفاء، فظهرت بصورة الباء لمكان النقطة التحتية، وتصحيف الخاء المعجمة بالحاء المهملة قريب. وإنما رجحت هذا الوجه، لاشتهاره فى سائر الكتب كما ذكرت آنفًا. ويجوز أن يكون الصواب أحد الوجهين الآخرين، إلا أن مثل هذا لا يثبت إلا بنص، ولم أقف على نص فيه. والخطب أسهل من أن نطيل فيه الكلام؛ لأن الظاهر من مفاد القصة أن الكلمة مخترعة. والله أعلم.

* * *

فصل فى بقية أخباره

لما دخل أبو العلاء بغداد أقبل عليه علماؤها وأباؤها، ومعجبين بفطنته، وسعة علمه. وأختص بحصبته جماعة منهم، كأبى القاسم على بن المحسن القاضى التنوخى، وكخازن دار العلم، والشريفين الرضى والمرتضى ابنى أحمد الموسوى، وغيرهم. وكان المرتضى شديد الاختصاص به، وله معه مباحثات ومداعبات. روى أنه حضر مجلسه يومًا، وجرى ذكر المتنبى فتنقصه المرتضى، وجعل يتتبع عيوبه؛ لبغضه له، وتعصبه عليه.

كان أبو العلاء على عكسه بتعصب للمتنبى، وبرغم أنه أشعر المحدثين، ويفضله على بشار ومن دونه؛ كأبى نواس وأبى تمام. فقال: لو لم يكن للمتنبى إلا قوله: (لك يا منازل فى القلوب منازل) لكفاه فضلا. فغضب المرتضى، وأمر به فأخرج من مجلسه، ثم التفت إلى من بحضرته، وقال لهم: أتدرون أى شىء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة، مع أن لأبى الطيب ما هو أجود منها فقالوا: النقيب السيد أعرف، فقال: أراد قوله فى هذه القصيدة:

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

قلت: ومن التلميح المستندب بهذا البيت المستندب بهذا البيت ما وقع للفتح بن خاقان مع ابن الصائغ، وقد ذكره بسوء فى كتابه قلائد العقبان، فمر عليه ابن الصائغ يومًا وهو فى جماعة، فضرب بيده على كتفه، وقال: إنها شهادة يا فتح. ثم مضى فى سبيله، فتغير لون الفتح، وقال: والله ما بلغت بوصفى له فى كتابى عشر ما بلغ بى بهذه الكلمة!

ويشبه قصة المعـرى مع المرتضى ما وقع للخالدين مع سيف الدولة، لما عاتباه فى تفضيله المتنبى، وقالا: ليختر الأمير ما شاء من قصائده، حتى ننظم ما هو أجود منها، فاقترح عليهما أن يعارضا قوله:

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى وللحب ما لم يبق منى وما بقى

فلما كررا النظر فيها لم يجداها من غرر قصائده، ثم فطنا إلى أن سيف الدولة أراد بهما قوله فيها:

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق أراه غبارى ثم قال له الحق

فأحـجما عن المعارضـة ولم يعاوداه. وفى رواية أن هذه القصـة وقعت للسـرى الرفاء لا الخـالديين. وحكى بعـضهم، قـال: خـرجت على سبـيل الفرجة، فعـقدت على الجسر ببغداد، فأقبلت امـرأة من جانب الرصافة تريد الجانب الغربى، فاستقبلها شـاب فقال لها: رحم الله على بن الجهم، فقالت فى الحال: ورحم الله أبا الـعلاء المعرى. ولم يقـفا، ومرا مـشرقا ومـغربة، فتتـبعت المرأة وقلت لها: أخبرنى عـافاك الله عما قال لك، وعـما أجبت به فقالت: نعم، رحم الله على بن الجهم، أراد قوله:

عيون المهابين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أردى

وأردت بترحمى على بن العلاء قوله:

فيادارها بالحزن إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

وروى أن أحد الشـرفاء سـقط منه خاتم فى الحـرم، فقال لـه أحد بنى عمـه: لم لم تقف على طلب الخاتم الثمـين؟ فقال له: ألست من أبناء أمـير المؤمنين؟ أراد الأول قول المتنبى:

بليت بلى الأطلال لم أقف بها وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه

وأراد الثانى قوله من قصيدة أخرى:

كذا الفاطميون الندى أكفهم أعزامحاء من خطوط الرواجب[1]

يريد: أن الندى ملازم لأكفهم، كما أن خطوط الرواجب ملازمة لها.

وفى البيت الأول نادرة لأبى العلاء وذلك أنه بلغ من ولوعه بالمتنبى أنه كان إذا ذكر الشعراء يقول: قال أبو نواس كذا، قال البحترى، قال أبو تمام، فإذا أراد المتنبى قال: قال الشاعر. فقيل له يومًا: لقد أسرفت فى وصفه، فقال: أليس هو القائل:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه

كم يقف الشحيح على خاتمه؟ يقف عليه أربعين يومًا. فقيل له: ومن أين علمت ذلك؟ قال: سليمان بن داود عليهما السلام وقف على طلب الخاتم أربعين يومًا، فقيل له: ومن أين علمت أنه بخيل؟ قال: من قوله تعالى:

وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى، وما كان عليه أن يهب الله لعباده أضعاف ملكه!

ولما بلغ أبا العلاء وفاة أبى أحمد الظاهر أبى الشريفين الرضى والمرتضى سنة ٤٠٣، رثاه وهو بالمعرة بقصيدة طويلة، أجاد فيها كل الإجادة، وأنفذها إليهما، مطلعها:

أودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاف

(١) الرواجب: واحدتها راجبة، وهى مفاصل الأصابع.

ومن غريب قوله فيها يخاطب الغراب:

لا خاب سعيك من خفاف أسحم ... كسحيم الأسدى أو كخفاف

من شاعر للبين قال قصيدة ... يرثى الشريف على روى القاف

بنيت على الإيطاء سالمة من ... الإقواء والإكفاء والأصراف

الخفاف: الخفيف: وسحيم: عبد بنى الحسحاس، كان أسود؛ وأراد بخفاف: خاف بن ندبة[1] أحد غرباء العرب وشعرائها، يعنى كأن هذا الغراب شاعر أسود كهذين الشاعرين، ينعى لنا الشريف بنعيبه، ويرثيه بقصيدة قافية؛ لأنه يقول فى نعيبه:

غاق غاق. وهذه القصيدة بنيت عليالإبطاء؛ لأنه يردد هذه الكلمة فى قوافيها، إلا أنها سالمة من الإقواء، وهو الاختلاف بين القوافى بالرفع والجر؛ ومن الإكفاء وهو المخالفة بينها بالحروف؛ ومن الإصراف، وهو الإقواء بالنصب.

وممن صحب أبا العلاء وأخذ عنه وهو ببغداد القاضى أبو القاسم على ابن المحسن التنوخى المتقدم ذكره، وكانت بينهما رابطة اتحاد. وحمل إليه مرة جزءاً من أشعار تنوخ فى الجاهلية، مما كان جمعه والده أبو على المحسن، فلما تعجل أبو العلاء الرحيل عن بغداد تركه عند أبى أحمد عبد السلام، وسأله رده إلى أبى القاسم، وسار عن بغداد، فخشى أن يكون أغفله، فكتب يخاطب أبا القاسم بقصيدة ضمنها أغراضًا، يقول فيها:

أهدى السلام إلى عبد السلام ... فما يزال إليه الدهر ملفوتا

---

(١) ندبة بفتح أوله أو ضمه: أم خفاف، وهو أحد من نسب إلى أمه من الشعراء.

سألته قبل يوم السير مبعثه إليك ديوان تيم اللات ماليتا[1]

هذا التعلم أنى ما نهضت إلى قضاء حج فأغفلت المواقيتا

وروى ابن خلكان وابن الوردى فى تاريخهما، نقلا عن كتاب للحافظ أبى طاهر السلفى، وضعه فى أخبار أبى العلاء. قال فيه مسنداً عن القاضى أبى الطيب الطبرى، كتبت إلى أبى العلاء المعرى حين وافى بغداد، وقد كان نزل فى سويقة غالب:

وما ذات در لا يحل لحالب تناوله واللحم منها محلل

لمن شاء فى الحالين حيا وميتًا ومن رام شرب الدر فهو مضل

إذا طعنت فى السن فاللحم طيب وآكله عند الجميع معقل

وخرفانها للأكل فيها كزازة[2] فما لحصيف الرأى فيهن ما كل

وما يجتنى معناه إلا مبرز عليم بأسرار القلوب محصل

فأجابنى، وأملى على الرسول فى الحال:

جوابان عن هذا السؤال كلاهما صواب وبعض القائلين مضلل

فمن ظنه كرمًا فليس بكاذب ومن ظنه نخلا فليس يجهل

لحومهما الأعناب والرطب الذى هو الحل والدر الرحيق المسلسل

كأن ثمار النخل وهى غضيضة[3] تمر[4] وغض الكرم يجنى ويؤكل

(١) ماليتا: أى ما نقص.

(٢) الكزازة: البيس والانقباض

(٣) رواية بن الوردى: رطبية.

(٤) مريمر - بالفتح والضم: ضد يحلو.

يكلفنى القاضى الجليل مسائلا هى النجم قدرًا بل أعز وأطول
ولو لم أجب عنها لكنت يجهلها جديراً ولكن من يودك مقبل

قال القاضى أبو الطيب، فأجبته عنه وقلت:

أثار ضميرى من يعز نظيره من الناس طرا سابغ[1] الفضل مكمل
ومن قلبه كتب العلوم بأسرها وخاطره فى حدة النار مشعل
تساوى له سر المعانى وجهرها ومعضلها باد لديه مفصل
ولما أثار الحب قاد[2] منيعه أسيرراً بأنواع البيان يكبل
وقربه من كل فهم بكشفه وإيضاحه حتى رآه المغفل
وأعجب من نظمه الدر مسرعًا ومرتجلا من غير ما يتمهل
فيخرج من بحر ويسمو مكانه جلالا إلى حيث الكواكب تنزل
فسهنأه الله الكريم بفضله محاسنه والعمر فيها مطول

فأملى أبو العلاء على الرسول، مرتجلا:

ألا أيها القاضى الذى بدهائه سيوف على أهل الخلاف تسلل
فؤادك معمور من العمل آهل وجدك فى كل المسائل مقبل
فإن كنت بين الناس غير ممول فأنت من الفهم المصون ممول
إذا أنت خاطبت الخصوم مجادلا فأنت وهم مثل الحمائم أجدل

---

(١) رواية ابن الوردى، سابق.

(٢) رواية عن ابن الوردى: ولما أثار الحب فار معينه.

كـأنك من فى الشافـعى مخـاطب ... ومن قلـبـه تملى فـمـا تتـمـهل

وكيف يرى علم ابن إدريس دارسًا ... وأنت بإيضـاح الهـدى مـتكفل

تفضلـت حتى ضاق ذرعى بشكر ما ... فعلـت، وكفى عن جوابـك أجمل

لأنك فى كـنه الثـريا فـصـاحـة ... وأعلى، ومن ينبعـى مكانك أسفل

فـعـذرى فى أنى أجـبـتـك واثقًـا ... بفـضلك والإنسـان يسهـو ويذهل

وأخطأت فى إنقـاذ رقـعـتك التى ... هى المجـد لـى منهـا أخـيـر وأول

ولكن عـدانى أن أروم احـتفـاظهـا ... رسـولك وهو الفـاضل المتـفـضل

ومن حقهـا أن يصبح المسك عاطرًا ... بها[1] وهى فى أعلى المواضع تجعل

فـمن كـان فى أشـعـاره متـمـثـلا ... فأنت امرؤ فى العلم والشـعر أمثل

تجـملت الدنيـا بأنـك فـوقـهـا ... ومـثلك حـقـا من به تـتـجـمل

والقاضى أبو الطيب المذكور كان أديبًا ورعًا، عارفًا بأصول الفقه وفروعه صنف فى الأصول ومـذهب الشافعى والخلاف والجدل - كـتبًا كثـيرة: وكان يقول الشعر على طريقة الفقـهاء، وولى القضاء بربع الكرخ ببغداد، ولم يزل عليه إلى أن مات سنة خـمسين وأربعمائة، بعدما عـاش مائة سنة وسنتين لم يختل عـقله، ولا تغير فهـمه، يفتى ويسـتدرك على الفقهـاء الخطأ، ويقضى ويحضر المواكب فى دار الخلافة. رحمه الله تعالى.

ومن أخـبار أبى العـلاء قـصتـه مع أسـد الدولة صالح بن مـرداس - صاحب حلب، وقبوله شفاعتـه فى أهل معرة النعمان بعد أن كاد يبطش بهم

(١) رواية ابن الوردى: عامرًا لها.

سنة ٤١٧ . والسبب فى ذلك أن امرأة صاحت يوم الجمعة بجامع المعرة، وذكرت أن صاحب الماخور أراد اغتصابها، فنفر كل من فى الجامع وهدموا الماخور. وأخذوا خشبة ونهبوه، وكان الأمير أسد الدولة فى نواحى صيدا، فوصل المعرة، وخيم بظاهرها، واعتقل من أعيانها سبعين رجلا برأى وزيره تادرس ابن الحسن الأستاذ، وأوهمه أن فى ذلك إقامة للهيبة، فشق على المسلمين هذا الأمر؛ حتى دعوا لهؤلاء المعتقلين على منابر أمير وميار فين. وقطع تادرس عليهم ألف دينار، ففزع أهل المعرة إلى أبى العلاء، وسألوه تلافى الأمر بالخروج إلى الأمير، والتوسط لهم عنده. فخرج من أحد أبواب المدينة، ويده فى يد قائده، وأبصره صالح، فرأى شيخًا قصيرًا يقوده رجل، فقال: هذا أبو العلاء جيئونى به. فلما مثل بين يديه سلم عليه، ثم قال: "الأمير أطال الله بقاءه كالنهار الماتع، قاظ وسطه وطاب إيراده، أو كالسيف القاطع، لان متنه وخشن حداه، "خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" . فقال صالح: لا تثريب عليكم اليوم، قد وهبت لك المعرة وأهلها" وأمر بتقويض الخيام ورحل. فرجع أبو العلاء وهو يقول:

نجى المعرة نم براثن صالح ... رب يعافى كل داء معضل

ما كان لى فيها جناح بعوضة ... الله ألحفهم جناح تفضل

ورواية اللزوميات فى البيت الأول:

نجى المعاشر من براثن صالح ... رب يفرج كل أمر معضل

وفيها أيضًا: ألبسهم، بدل ألحقهم. ولم يعلم أبو العلاء أن المال قد قطع عليهم، وإلا كان قد سأل فيه أيضًا:

وفى هذه القصة يقول وضمنها لزومياته:

تغـــيـــبت فى منزل برهة ستـر العيـوب فـقيـد الحـسـد
فلمـا مـضى العـمـر إلا الأقل وحم لـروحى فـراق الجـسـد
بعـثت شـفـيـعًـا إلى صـالح وذاك من الـقـوم رأى فـسـد
فـيـسـمع منى سـجع الحـمـام واسـمع منه زئيـر الأسـد
فـلا يعـجـبنى هذا النفـاق فكم نـفـقت مـحنة مـا كـسـد

وصالح هذا هو أسـد الدولة أبو صالح بن مـرداس الكلابى أول ملوك بنى مرداس بحلب، وكان من عرب البادية، وكانت له عشيرة وشوكة، فقصد مدينة حلـب وانتزعهـا من مرتضى الدولة بن لؤلؤ، نائب الظـاهر بن الحاكم الفاطمى خليفة مـصر، وتملكها سنة ٤١٧. ثم جهز الظاهر الجيـوش ووجهها إليه، وجرت مقتله انجلت عن قتل صالح سنة ٤٢٠ وقيل سنة ٤١٩.

وهو الذى عناه أبو العلاء بقوله فى لزومياته:

أرى حلبًـا حـازها صـالح وجـال سنان على جلـقـا
وحـسـان فى سـلفـى طىء يصـرف من عـزه أبقـا

وذكر السـيوطى فى بغـية الوعاة فى تـرجمة نصـر بن صدقـة القابسى النحوى أنه كان ممن يعـانى الأدب، فقدم مصر وأخذ من علمـائها، ثم توجه إلى المعرة فلازم أبا العـلاء، وأخذ عنه ديوانه سقط الزند، وكتـبت منه نسخة جيـدة، ورجع إلى مصر، فـقدمـها للحاكم وقـرأها عليه، فـأعجبـه نظمه، وأرسل إلى عزيز الدولة الوالى بحلب، أن يحـمله إلى مصر، فاعـتذر فكف عنه. هذا ما ذكره السيوكى. وفى مقدمة رسالة للمعرى تسمى بالفلاحية: أن

القابسى المذكـور لما رجع إلى مصر بنسـخته سـقط الزند، أهداها للوزير أبى نصر صـدقة بن يوسف الفلاحى، فأعـجب بها، واستـدعى كاتب الديوان، وأمره أن يكتب إلى عزيز الدولـة متولى حلب وأعمالهـا فى حمل أبى العلاء إلى مصـر، ليبنى له دار علم، وسـمح بخراج مـعرة النعـمان له فى حـياته وبعده، فوصلت الأوامر إلى ديوان الشام بكتب السجل، فكتب، وجهز على البريد. فلما وقف عليه عزيز الدولة نهض للوقت، حتى دخل معرة النعمان، وقرأ السـجل على أبى العلاء فقال: أمـهلنى حتى أكتب جـواب السجل إلى مجلس الوزارة، فلعل العفو يسامحنى بالمقام فى بلدى؛ إذ لا يمكننى الخروج منه فأمهله الأمـير، فأحضر الكاتب للوقت، وأملى عليه هذه الرسـالة يعتذر فيها عن عـدم الرحيل بعجزه عنه. والوزير الفلاحى المذكور وزر لـلمستنصر سنة ٤٣٦ وعزل سنة ٤٣٩. ولم تسـبق له وزارة مدة الحاكم بأمـر الله، حتى يمكن الجمع بين الروايتين.

وقد تقدم أن المستنصر بذل لأبى العـلاء ما يبيت مال المعرة من الحلال، فلم يقبله. فلعل ذلك كـان بسعى هذا الوزير، وفيه ما يرجـح الرواية الثانية. إلا أن يكون مـراد السيـوطى مطلق حـاكم بمصر، لا الحـاكم بأمـر الله على الخـصوص. وكـان هذا الوزير فى أول أمره يهـودبا، ثم أسلم. وفـيه يقـول الحسن بن خاقان الشاعر المصرى:

حجاب وإعجاب وفرط تصلف ... ومـد يد نحـو العـلا يتكـلف

فلو كـان هـذا من وراء كـفـاية ... عـذرنا ولكـن من وراء تخـلف

وكـان معـه أبو سعـد التسـترى اليـهـودى يدبر الدولة له فقـال بعض الشعراء:

يهـود هـذا الزمـان قـد بـلغـوا غـايـة آمـالهـم وقـد ملـكوا
العـز فـيـهـم والمال عنـدهم ومنـهم المسـتـشـار والملك
يا أهل مـصـر إنى نصـحت لكم تهـودوا قـد تهـود الفـلك

وممن ارتبط مع أبى العلاء برابطة الود، وجمعته به آصرة الأدب؛ الوزير أبو القاسم الحسين بن على العالم الأديب المشهور بالوزير المغربى، صاحب مختصر إصلاح المنطق، وأدب الخواص، والمأثور فى ملح الخدور، وكتاب الإيناس، والديوان الشعر. وهو الذى كتب له أبو العلاء رسالته المسماة بالمنيح، ورسائل أخرى. ولما فرغ من تأليف مختصر إصلاح المنطق لابن السكيت أنفذ إلى أبى العلاء نسخة منه، فرقظها برسالة طويلة سماها بالإغريضية، أثنى عليه فيها ثناء جما، ووصف المختصر، وبالغ فى مدحه. ووقفت فى رسائل لأبى العلاء مخطوطة على كتاب أرسله له هذا الوزير، يتشوق إليه وإلى أخيه، ويشتكى من الدهر وصروفه، ويسأل الله أن يجمعه بهما وضمنه كثيراً من شعره فى هذه الأغراض. ولولا خوف الإطالة لأثبته هنا.

وكان الوزير المذكور من الدهاة العارفين، محبا للفتن، مثيراً للقلائل، قتل الحاكم بأمر الله أباه وعمه وأخويه. فهرب إلى الرملة، ثم انتقل إلى الحجاز، وهو يفسد نيات الولاة على الحاكم حتى أقلقه. ودخل العراق فاتمه القادر العباسى بالسعى فى إفساد الدولة العباسية، فلم يزل متنقلا فى البلاد حتى مات بميافرقين سنة ٤١٨ على الأصح. ونقل إلى الكوفة بوصية منه، ودفن فى تربة مجاورة لمشهد الإمام كرم الله وجهه وأوصى أن يكتب على قبره:

كنت فى سفرة الغواية والجهـ ـل مقيمًا فحان منى قدوم
تبت من كل مأتم فعسى يمـ ـحى بهذا الحديث ذاك القديم
بعد خمس وأربعين لقد ما طلت إلا أن الغريم كريم

ورثاه ابو العلاء بأبيات أثبتها فى لزومياته، وهى:

ليس يبقى الضرب[1] الطويل على الأرض ولاذوا لعبالة[2] الذرحاية
يا أبا القاسم الوزير ترحلـ ـت وخلفتنى ثقال[3] رحاية
وتركت الكتب الثمينة للنا س وما رحت عنهم بسحاية[4]
ليتنى كنت قبل أن تسرب المو ت أصيلا شربته بضحاية
إن نحتك المنون قبلى، فإنى منتحاها وإنها منتحاية
أم دفر تقول بعدك للذا ئق لا طعم لى فأين فحايه[5]
إن يخط الذنب اليسير حفيظًا ك فكم من فضيلة محاية

وكان ابن القارح صاحب الرسالة المشهورة للمعرى يؤدب الوزير المغربى فى صباه، ثم صار يذمه ويعدد معايبه، حتى قال فى هجوه:

لقبت بالكامل ستراً على نقصك كالبانى على الخص
فصرت كالكنف إذا شيدت بيض أعلاهن بالجص

(١) الضرب: الخفيف اللحم.
(٢) ذو العبالة: الغليظ، والدرحاية، القصير.
(٣) الثقال بالكسر. الجلد الذى وضع تحت الرحى.
(٤) سحاية القرطاس: ما سمى منه، أى أخذ.
(٥) الفحا وبكسر: البزر: وفحى القدر: كثرا بازره.

يا عـــرة الدنيـــا بـلا غـــرة ويا طويس[1] الشـؤم والحـرص

قـــتلـن أهليـك وأنهـــيت بيـ ـت اللـه بالموصل تســتـعـصى

وبلغ أبا العلاء كلامه فيه فامـتعض وتألم. فلما كتب ابن القارح رسالته قال فيهـا فى هذا الخصوص مخاطبًا أبا العـلاء: "بلغنى عن مولاى الشيخ - أدم الله تأييده - أنه قال وقد كرت له: أعرفه خبراً، هو الذى هجا أبا القاسم الحسين بن على المغـربى. فذلك منه أدام الله عزه رائع لى، خوفًا أن يسـتشر طبعى، وأن يتصورنى بصورة من الكفـر موضع الشكر، وهو بتعريف التنكير أنفع لى عنده، لجلالة قـدره ودينه ونسكه: وأنا أطلعه طلعـه ليعرف خفـضه ورفعه، وفراداه وجـمعه". ثم ساق نوادر عن هذا الوزير فى تهوره ومـحبته للفتن، ونقضه للعهود، فأجـابه أبو العلاء فى رسالة الغفران الذنب للحى أن يغفره له وهو ميت.

وكـان أبو الخطاب محـمد بن على بـن محـمد بن إبراهيم الجـبلى[2] شاعـراً، وكان بينـه وبين أبى العلاء المعـرى مشـاعره، وفـيه قال أبو الـعلاء قصيدته:

غير مجد فى ملتى واعتقادى نـــوح باك ولا ترنم شاد

ومات أبو الخطاب فى ذى القعدة سنة ٤٣٩. كذا ذكر ياقوت فى معجم البلدان.

---

(١) طويس: أول من غنى فى الإسلام يضرب به المثل فى الشـؤم؛ لأنه ولد ليلة مات رسول الله عليه الـصلاة والسلام، وفطم يوم مـات أبو بكر، وبلغ يوم مات عـمر، وتزوج يوم قتل عثمان، وولد له يوم قتل على.

(٢) الجبلى: نسبة إلى جبل بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها: بليدة بين النعماية وواسط، كما فى ياقوت.